الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية أدرار– الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الإنسانية

تخصص: تاريخ

الأمير عبد القادر الجزائري وإسهاماته في بلاد الشام 1856– 1883

مذكرة مكملة لنيل متطلبات شهادة الماستر في التاريخ

تخصص : تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد:

ـ فايزة لعموري

إشراف الأستاذ الدكتور:

ـ مبارك جعفري

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أحمد بوسعيد	أستاذ محاضر- أ-	جامعة أحمد دراية أدرار	رئيسا
مبارك جعفري	أستاذ التعليم العالي	جامعة أحمد دراية أدرار	مشرفا ومقررا
عبد الكريم بلبالي	أستاذ محاضر- أ-	جامعة أحمد دراية أدرار	ممتحنا

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/ 2020- 2021م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République algérienne populaire et démocratique

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

UNIVERSITE AHMED DRAYA - ADRAR

BIBLIOTHÈQUE CENTRALE

Service de recherche bibliographique

N°.....B.C/S.R.B//U.A/2021

جامعة احمد دراية - ادرار

المكتبـــة المركـــزية

مصلحة البحث البيبليوغرافي

الرقم.....م.م/م.ب.ب /ج.أ/2021

شهادة الترخيص بالإيداع

انا الأستاذ(ة): اميار ولد جعفري

المشرف مذكرة الماستر.

الموسومة بـــ : الاستيطان الفلاحي الزراعي وانعكاساته في بلاد الشلف 1856 - 1883

من إنجاز الطالب(ة): فايزة لعموري

و الطالب(ة):

كلية : العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية والعلوم الإسلامية

القسم : العلوم الإنسانية

التخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

تاريخ تقييم / مناقشة: يوم الاثنين 07 جوان 2021

أشهد ان الطلبة قد قاموا بالتعديلات والتصحيحات المطلوبة من طرف لجنة التقييم / المناقشة، وان المطابقة بين النسخة الورقية والإلكترونية استوفت جميع شروطها.

وبإمكانهم إيداع النسخ الورقية (02) والاليكترونية (PDF).

امضاء المشرف:

ادرار في: 07/06/2021

مساعد رئيس القسم:

مساعد رئيس قسم العلوم الإنسانية
مكلف بالتدريس والتعليم في التدرج
د. كمون عبد السلام

ملاحظة :لاتقبل أي شهادة بدون التوقيع والمصادقة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من يدور حولها الكون، إلى جنتي،

إلى أعظم وأحن إنسانة في الدنيا، إلى قدوتي أمي العظيمة.

إلى بطلي وأغلى ما لدي في حياتي، سندي وتاج رأسي، والدي الحبيب، أُهدي هذا العمل المتواضع.

شكر وعرفان

أتقدم بشكري الجزيل أولا إلى الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور **مبارك جعفري** الذي شجعني على إختيار الموضوع، وعلى نصائحه التي إستفدت منها في كل خطوات إنجاز هذا البحث، أشكره على رحابة وسعة صدره وعلى مجهوداته الكبيرة التي بذلها من أجل إيصال المعلومات بطريقة سلسة ومفهومة، وعلى الكم الهائل من المعلومات التي ساعدتني بل كانت الأساس الذي بنيت عليه كل بحثي، له كل التقدير والإحترام. وصدقا، فإن كلمة شكرا لا تفيه حقه أبدا. كما أشكر حفيد الأمير عبد القادر الأستاذ جعفر الحسني الجزائري الذي مكنني من الإطلاع على مصدر مهم ويتعلق الأمر بكتاب نخبة ما تسر به النواظر لأحمد بن محي الدين، كما أشكر كل من ساعدني وشجعني ولو بكلمة دعم أثناء إنجازي هذا البحث.

قائمة المختصرات

المختصر	الكلمة
ه	هجري
م	ميلادي
ص	صفحة

مقـدمة

برزت في بداية الغزو الفرنسي للجزائر، عدة شخصيات أعلنت المقاومة المسلحة ضد المستعمر الفرنسي، من بين هذه الشخصيات أحمد باي باي بايلك الشرق ومصطفى بومزراق باي بايلك التيطري، وكذلك الشيخ محي الدين بن مصطفى مقدم الطريقة القادرية بمعسكر وابنه عبد القادر، الأخير الذي ظل يحارب الجيش الفرنسي على مدار سبع عشرة سنة، من بداية الاحتلال والى غاية 1847، وهي الفترة التي حدثت خلالها الكثير من الأحداث في الجزائر، منها عمل الاستعمار الفرنسي على القضاء على مؤسسات الدولة التي خلفتها الإدارة العثمانية، إضافة إلى إلحاق الجزائر بفرنسا رسميا بموجب مرسوم 22 جويلية 1834، وكذلك استحداث منصب الحاكم العام على الجزائر. كما حاربت ادارة الاحتلال الزوايا والتعليم العربي، ناهيك عن ممارسة التقتيل والتنكيل ضد الجزائريين، و أيضا مصادرة أراضيهم، وفي هذا السياق نذكر على سبيل المثال ما حدث خلال سنة 1845 بحيث تم إصدار أمر تتم بموجبه مصادرة أراضي القبائل المؤيدة للأمير عبد القادر، ناهيك عن سياسة الأرض المحروقة التي تبناها وطبقها الماريشال بيجو للتضييق على المقاومة والقضاء عليها، وقد عرفت مقاومة الأمير عبد القادر بعد هذا التضييق ضعفا وتراجعا مما ساهم في القضاء على المقاومة المسلحة وتسليم الأمير لسلاحه.

بلاد الشام هي أيضا لم تكن حينها في منأى عن الأطماع الغربية من قبل عدة دول غربية خاصة فرنسا انجلترا وروسيا خلال فترة الحكم العثماني، كما لم تكن المنطقة ببعيدة عن الأحداث التي عرفتها الجزائر بخاصة، سيما وأن بلاد الشام عرفت استقبال العشرات من المهاجرين الجزائريين الذين هاجروا بسبب السياسة الاستعمارية الفرنسية في البلاد أو النفي. الأمير عبد القادر كان واحدا من المهاجرين الجزائيين الذين استقروا بالشام عام 1856 رفقة أفراد من عائلته وأقربائه ورجاله وأسرهم، لكنه لم يكن من بين الذين دخلوا الشام مباشرة من الجزائر، بل قدم إليها من بورصة التركية التي استقر بها منذ أن أطلق سراحه عام 1853 بعد أن أسر لسنوات في فرنسا منذ تسليمه نهاية سنة 1847.

إن الفترة التي عاشها الأمير عبد القادر في الشام وتحديدا في دمشق إلى غاية وفاته سنة 1883، شهدت بصمات للأمير في مختلف المجالات ناهيك عن الأدوار التي لعبها أوتدخلاته فيما يتصل بموضوع إنجاز قناة السويس بمصر، وعليه جاء بحثنا تحت عنوان " الأمير عبد القادر الجزائري وإسهاماته في بلاد الشام 1856-1883".

هناك عدة دوافع جعلتني اختار هذا الموضوع، منها دوافع ذاتية وأخرى موضوعية. فبالنسبة للدوافع الذاتية أذكر على سبيل المثال تخصص الدراسة، والرغبة في التعرف أكثر على شخصية الأمير

عبد القادر، لأنني لم أكن أعرف عن هذه الشخصية إلا ما تعلق بمقاومته المسلحة، كما أنها لم تكن معرفة كبيرة وعميقة، بالنظر الى قيمته كشخصية ذات وزن وثقل، وبالإضافة إلى ذلك فقد كان لدي دائما فضول كبير في التعرف على تفاصيل أسره بفرنسا خاصة بعد مشاهدتي لوثائقي حول الأمير عبد القادر بثته قناة الجزيرة وثائقية، إضافة إلى تطلعي لمعرفة كيف عاش في بلاد الشام، وكيف تمكن من تهدئة الوضع بعد فتنة دمشق أو ما يعرف بطوشة النصارى سنة 1860، اذ كانت لدي فكرة بسيطة حول الموضوع، أما الذي دفعني اكثر في اختيار هذا البحث والخوض في انجازه، هو موضوع يثار في كل مرة والى غاية اليوم، وتصحبه الكثير من العواصف والانتقادات الموجهة للأمير، فنلاحظ وجود فريق يدافع خلالها عن الأمير وآخر يهاجمه، وكثيرا ما أدى ويؤدي الموضوع الى مشاحنات وتلاسنات بين الفريقين، سيما عبر مختلف مواقع التواصل الاجتماعي وعلى رأسها الفايس بوك والتويتر وحتى على اليوتيوب الموقع الخاص بالفيديوهات، وأيضا من خلال المناقشات على مختلف القنوات التلفزيونة على وجه الخصوص، ويتعلق الأمر بالموضوع الخاص بعلاقة الأمير بالماسونية، فهناك من ينفي نفيا قاطعا وجود أي علاقة بين الأمير عبد القادر والماسونية، وهناك من يؤكدها ويبررها، وهناك من يؤكدها ولا يبررها بل بالعكس يعتبرها غلطة من الأمير والتي لا يمكن أن تغتفر.

أما الدوافع الموضوعية فتتمثل في أهمية الموضوع العلمية، وتدعيم البحوث المتوسطة بهذا البحث أو الدراسة المتواضعة والتي آمل أن تمثل إضافة ولو بسيطة للدراسات أو للبحوث المتوسطة التي بحثت في سيرة الأمير عبد القادر وحياته في بلاد الشام، خاصة وأن الدراسات الخاصة بموضوع هذا البحث قليلة جدا .

إن أهمية هذه الدراسة تكمن في إبراز الأدوار الكبيرة التي لعبها الأمير عبد القادر من خلال مسيرته النظالية، وكذلك تسليط الضوء على جوانب لم يتم التركيز عليها كثيرا في حياة الأمير عبد القادر، ومن أهداف هذه الدراسة أيضا هو جعل القارئ يكوِّن فكرة لابأس بها عن هذه الشخصية وعن حياته وعن إسهاماتها في شتى المجالات في المشرق خاصة بالشام وقبلها في الجزائر وفرنسا وحتى في بورصة التركية، ضمن هذا البحث، سيما وأن الدراسات المتعلقة بالموضوع تعتبر قليلة جدا كما سبقت الإشارة إليه آنفا.

ويتناول موضوعي إشكالية رئيسية صغتها كالآتي: ما مدى تأثير الأمير عبد القادر الجزائري من خلال الأدوار التي لعبها في مختلف النواحي في بلاد الشام؟

والإشكالية الرئيسية هذه تتفرع عنها إشكالات أو تساؤلات فرعية تتمثل فيما يأتي:

1- ما هي المراحل التي مرت بها عملية صقل وتكوين شخصية الأمير عبد القادر، وهل كان لذلك دور في تهيئته لحمل مشعل المقاومة ضد الإحتلال الفرنسي؟

2- كيف ولماذا خططت فرنسا لأسر الأمير عبد القادر، ثم إطلاق سراحه للإستقرار المؤقت ببورصة ثم الدائم بدمشق إلى غاية وفاته؟

3- ما هي الأدوار التي لعبها الأمير عبد القادر لإخماد فتنة دمشق سنة 1860، وفي إتمام انجاز قناة السويس، وما العلاقة التي جمعته بالجمعية الماسونية؟

أما بالنسبة للمنهج الذي اتبعته في إنجاز هذا البحث فهو المنهج التاريخي.

ولتناول هذا الموضوع اعتمدت على خطة قوامها ثلاثة فصول، حيث جاء الفصل الأول تحت عنوان مولد ونشأة الأمير عبد القادر ومقاومته للاحتلال الفرنسي وقد شمل الفصل وقفة للحديث عن عائلة الأمير والتعريف بها، كما تعرضت إلى مولده ونسبه ونشأته وأهم ما ميزها من عوامل ساهمت في صقل شخصيته وهيأته لتحمل مسؤولية الجهاد وتبوء مكانة رفيعة لدى الجزائريين وغيرهم، ولأن يكون سياسيا ودبلوماسيا محنكا، كما تطرقت الى رحلته الاولى إلى الحج مع والده، وتحدثت فيه عن البيعة الأولى وكذلك عن البيعة الثانية والمقاومة المسلحة، مخصصة حيزا لبعض المعارك التي خاضها الأمير خلال مقاومته للجيش الفرنسي إلى أن دب الضعف في المقاومة نظرا لعدة ظروف وأسباب وعلى رأسها الخيانة التي تعرض لها الأمير، وكذلك لعدم تكافؤ القوى بين جيشه والجيش الفرنسي، وبداية النهاية الأكيدة بعد سقوط الزمالة، و احتوى الفصل الاول ايضا على قضية لجوء الامير الى المغرب وماجرى بعدها من ضغط فرنسي على السلطان المغربي الذي أذعن لفرنسا وحارب الأمير، الى أن سلم الامير سيفه للفرنسيين معلنا نهاية مقاومته المسلحة لفرنسا.

الفصل الثاني الذي جاء تحت عنوان تحويله إلى فرنسا واستقراره بالشام بعد إطلاق سراحه خصصته لخطف الأمير من قبل الفرنسيين واخلافهم للوعد الذي قطعوه معه، وتحويله الى فرنسا بدل المشرق العربي، وأسره بالسجون الفرنسية هو ومن كان معه من أفراد عائلته وعلى رأسهم والدته ورجاله، وتطرقت الى ماعانوه في الأسر من جوع ومرض وسوء معاملة واللعب على معنوياتهم، ومحاولة اغراء الأمير بالبقاء في فرنسا مقابل توفير كل سبل الراحة والعيش الرغيد له ولمن معه، إلى أن تولى نابليون الثالث قيادة فرنسا رئيسا بعد ثورة 1848، حيث أُعطِيت للأمير قدرا أوسع من الحرية، وقد إرتأيتُ أن أُخصص مساحة للحديث عن نشاطات الأمير الفكرية خلال فترة سجنه سيما في أمبواز، وأيضا

عن ظروف إطلاق سراح الأمير على عهد الإمبراطور نابليون الثالث واستقراره أولا في مدينة بورصة التركية، ثم في آخر محطة له دمشق إلى غاية وفاته سنة 1883، كما تحدثت عن نشاطات أفراد عائلته داخل الشام وخارجها.

أما الفصل الثالث فقد اخترت أن يكون تحت عنوان إسهامات الأمير عبد القادر في المشرق العربي، وهو عنوان عام يعطينا مساحة أكبر وأوسع للحديث عن إسهاماته في الشام في شتى المجالات، الفكرية والاجتماعية والسياسية، وأبرزت الدور الكبير الذي لعبه خلال فتنة دمشق سنة 1860، وهو الدور الذي زاد في احترامه ومكّن من تبوئه مكانة أعلى لدى العرب والغرب أيضا، لدى مواطنين بسطاء وملوك وأباطرة وشخصيات عربية وعالمية، هذا من جهة ومن جهة أخرى تطرقت لدور الأمير واسهامه في إتمام انجاز قناة السويس وحضوره حفل افتتاحها، وكذلك لعلاقته بالماسونية وإبراز مختلف آراء المؤرخين والباحثين في هذه القضية الشائكة والحساسة أيضا.

وختمت بحثي بخاتمة عرضت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال رحلة انجاز البحث، كما حاولت خلالها الإجابة عن إشكالية الموضوع الرئيسية وعن اشكالاته الفرعية. ولتحويل البحث من قالبه أو من جانبه النظري الى التطبيقي، صغت بعض التوصيات الموجهة للهيئات المعنية وكذلك إلى أحفاد الأمير وأقاربه، وهي توصيات تصب في سياق الاهتمام أكثر بشخصية الأمير واسهاماته ونفض الغبار عن مواضيع متعلقة به لازالت لحد الساعة مخفية وأخرى غامضة.

إن الأمير عبد القادر، من بين الشخصيات التي اهتم بها الباحثون الجزائريون بخاصة، وآخرون من مختلف الدول العربية والغربية أيضا، ولذا نجد الكثير من المؤلفات والاطروحات والدراسات المتعلقة بالأمير عبد القادر وعن سيرته ومقاومته وفكره وغيرها. وعليه فان موضوع هذا البحث لم اكن السباقة اليه، بل هناك من سبقني إليه حتى وان لم يكونو كُثر إلا أنهم أنجزوا دراسات تتناول موضوع قريب من موضوع بحثي، أذكر في البحوث المتوسطة مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة ب "نشاط الامير عبد القادرالجزائري في بلاد الشام 1847-1883م" لعقيلة يوسفي وأمينة شنوي، إلا انني أرى أن سنة 1847 في العنوان هي سنة التسليم وليست السنة التي انتقل فيها الأمير من بورصة الى دمشق للاستقرار بها نهائيا، ولذا ربما كان من الأحسن أن تُستبدل سنة 1847 بسنة 1856 وهي السنة التي انتقل فيها الأمير الى دمشق.

وقد اختارت الباحثتان أن تكون الإنطلاقة في البحث من تسليم الأمير وسجنه بفرنسا في الفصل الأول، فيما أنني خصصت الفصل الأول من بحثي للحديث عن نشأة ومقاومة الأمير حتى أبني بحثي

على قاعدة متينة وحتى تكون للقارىء أو المتلقي فكرة لاغموض فيها عن الموضوع، ويتمكن من متابعة ماجاء في الفصلين الثاني والثالث بأريحية بحيث تكون لديه خلفية أو يمتلك معلومات حول المرحلة الأولى من حياة الأمير عبد القادر من خلال إطلاعه على ما جاء في الفصل الأول ولا يحتاج للذهاب للبحث عنها، إذ أنه وعلى أساس هذه الخلفية يمكن أن يكمل ويُتم قراءة البحث بسلاسة دون التوجه الى مرجع آخر للبحث عن نشأة ومقاومة الأمير، أو البحث عن معلومات حول والده أو أسرته أو نسبه مثلا، إضافة إلى تمكين القارئ من فهم الأسباب التي جعلت هذه الشخصية تحظى بقيمة كبرى في الخارج بعد أن راج اسم الأمير في الأقطار العربية وفي دول غربية ومنها الولايات المتحدة التي تم فيها تسمية بلدة بمقاطعة كلايتون التابعة لولاية آيوا عام 1846 باسم الكايدر أو القادر تيمنا بالأمير عبد القادر وبمقاومته وبسالته. وقد اختلف طرحي ومعالجتي للموضوع عن طرحهما ومعالجتهما لموضوعهما، كما اختلفت عناوين الفصول وكذا المباحث والمطالب بين البحثين.

إعتمدت في هذا البحث على مصادر ومراجع عديدة ومتنوعة، ومن بينها كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، بجزأيه الأول سيرته السيفية والثاني سيرته القلمية، لمؤلفه محمد باشا الابن البكر للأمير عبد القادر، وأقرب الأبناء إلى والده. ويُعدُّ الكتاب من بين أهم المصادر التي أرّخت لسيرة الأمير، فقد تمت كتابته في حياته، أما إصداره فكان بعد وفاته، علما أن محمد باشا ولد بالجزائر وكان مع والده عندما تم أسره بفرنسا ومنها إلى تركيا ثم إلى آخر محطة وهي دمشق، وهو ما يضفي أهمية كبرى على ما جاء في الكتاب من أحداث سواء فيما يتصل بدراسة الأمير أو بمقاومته أو تسليمه لسيفه وسجنه بفرنسا وإنتقاله إلى بورصة ومنها إلى الشام و نشاطات الأمير بالمنطقة. والكتاب يقف عند مختلف محطات حياة الامير عبد القادر بالكثير من التفاصيل، سيما وأن محمد باشا عايش الكثير من تلك الأحداث، و الملاحظ أن محمد باشا ورغم أهمية كتابه إلا أن المطّلع عليه يدرك أخذ المؤلِّف لبعض المعلومات عن شارل هنري تشرشل حيث نجده يكرِّر في عدة صفحات أن المعلومات نقلها عن تشرشل الانجليزي.

الأهمية ذاتها يحظى بها كتاب نخبة ما تُسرُّ به النّواظر، الذي ألفه شقيق الأمير عبد القادر أحمد بن محي الدين، وهو كتاب زودني به على شكل بي دي أف جعفر الحسني الجزائري حفيد الأمير عبد القادر، الذي أكد لي أن هناك كتابين فقط هما المصدران الوحيدان اللذان يحتويان على المعلومات الحقيقية والصحيحة المتعلقة بسيرة الأمير الحقيقية، مؤكدا أن ما جاء في كتاب تحفة الزائر لا يتنافى مع ما جاء في كتاب نخبة ما تُسرُّ به النواظر.

كتاب حياة الأمير عبد القادر لمؤلفه شارل هنري تشرشل والذي ترجمه أبو القاسم سعد الله، يعتبر أيضا من أهم المصادر فتشرشل وهو ضابط مخابرات انجليزي استقر في لبنان وكان قد استضاف الأمير في بيته بلبنان عند قدومه من بورصة التركية متجها إلى دمشق، كما عُرف عن تشرشل أنه كما يقول هو عن نفسه بأنه تمكن من أن يقنع الأمير بالسماح له بكتابة سيرته وخصص له بالتالي الأمير عبد القادر ساعة من وقته يوميا من أجل إملاء سيرته عليه ليكتبها تشرشل وهو ما حصل على مدار خمسة أشهر.

اعتمدت كذلك على مصدر هام جدا ويتعلق الأمر بكتاب مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان لمخائيل مشاقة، وتكمن أهمية هذا المصدر في كون مخائيل كان قنصلا لأمريكا في دمشق، وكان شاهد عيان على الفتنة التي حدثت فيها في 1860 إضافة إلى أنه تعرض إلى اعتداء في دمشق أيام الفتنة لأنه مسيحي وأيضا لكونه قنصلا لأمريكا، وكاد أن يذهب ضحية لتلك الأحداث لولا تدخل رجال الأمير عبد القادر في آخر لحظة وإنقاذه، كما كاد شقيقان له أن يتعرضا إلى القتل خلال أحداث مماثلة كان قد شهدها لبنان، ويتعلق الأمر بالفتنة الطائفية بين الدروز والمسيحيين الموارنة التي اندلعت سنة 1858 واستمرت الى غاية سنة 1860، ورغم أن ما جاء في الكتاب لمسنا فيه نوعا من التعميم وعدم الموضوعية في بعض المواقف لأن الشاهد ومن خلال ما دونه يجعل القارئ يظن أن جميع المسلمين بدمشق كانوا ضد المسيحيين، لكن القارئ يمكنه أن يستنتج أن تلك الأحداث أثرت في الكاتب نفسيا ولذلك فلا ملامة عليه سيما وأنه لم يكن مؤرِّخا الذي يجب عليه أن يكون حياديا فيما ينقله من أحداث عايشها أو أحداث نقلها عن غيره، والذي لابد عليه أن يلعب دور المحقِّق دون إبداء رأيه ويترك الحكم للمتَلقِّي او القارئ.

إضافة إلى ذلك اعتمدت ايضا على كتاب طلوع سعد السعود الجزء الثاني لصاحبه بن عودة مزاري وحققه يحي بوعزيز، وتكمن أهمية المصدر في كون الكاتب هو ابن احد الموالين لفرنسا والذي خان الأمير عبد القادر والده هو أغا المخزن محمد المزاري وعم والده هو مصطفى بن اسماعيل الذي خان بدوره أيضا الأمير عبد القادر وأصبح بالتالي مواليا للفرنسيين، اما المؤلف فقد انضم أيضا بدوره إلى الفرنسيين الذين منحوه لقب آغا حسب يحي بوعزيز، وقد افاد بن عودة بمعلومات ربما تكون مفتاح يُمكِّن الباحثين من فتح أبواب بحث أخرى لمعرفة أمورا ربما لا تزال لحد الساعة غير معروفة، كما أننا لاحظنا أن الكاتب لم يذكر بسوء الأمير عبد القادر، وذكر أيضا قصة خروج والده عن طاعة الأمير

عبد القادر ودخوله تحت طاعة الفرنسيين مشيرا إلى الوشاية التي وصلت الأمير ضد أبيه، وهو من بين الأسباب التي ادَّت بوالده للولاء للفرنسيين.

كما اعتمدت أيضا على مراجع هامة منها كتاب عبد القادر الجزائري لبرونو اتيين، وقد فصل برونو في بعض الأحداث وأضاف بعض المعلومات الهامة، كما أنه تطرق بدقة كبيرة الى الموضوع المتعلق بعلاقة يقال أنها ربطت الأمير عبد القادر والجمعية الماسونية، وقد لاحظنا أنه أعطى بعض المؤشِّرات التي تدل على أن الماسونية كانت تتبع خطوات الأمير منذ تواجده بالسجن، وقد ذكر أيضا أن البارون دي روتشيلد وهو احد افراد عائلة روتشيلد اليهودية ذات الأصول الألمانية، والتي تعتبرالعائلة الأغنى في العالم، التي ملكت شركات مصرفية وتمكنت بفضل ما تملكه من اموال طائلة وثروات لا حصر لها في أن تموِّل عدة بلدان وبالتالي التحكم فيها، ومعروف عنها أيضا انتمائها للحركة الماسونية، وذكر برونو أنه بينما كان الأمير في محطة القطار بمدينة ليون الفرنسية بعد خروجه من السجن، دخل عليه دي روتشيلد وتحادثا الى بعضهما البعض دون التطرق الى أسباب هذا اللقاء أو حتى إلى ما دار بينهما من حديث خلال هذا اللقاء.

حفيدة الأمير عبد القادر بديعة الحسني الجزائري أيضا أعتمدت على كتابها حياة الأمير عبد القادر وما بدلوا تبديلا الذي ورغم أهميته إلا أننا نلاحظ بعض الأخطاء في تواريخ الأحداث، وقد حاولت الكاتبة أيضا أن تتحدث على لسان الأمير وكأنها كانت تقرأ أفكاره أو على علم بما كان يجول في خاطره، وحاولت كذلك الدفاع عن الأمير في أكثر من مرة كتاكيدها مثلا على أن زواجه من زوجته الأولى السيدة خيرة كان زواجا تقليديا وأن والدته هي من اختارتها له، وأعتقد أن هذا كان ردّا على ما جاء في كتاب عبد القادر الجزائري لبرونو أتيين الذي تحدث عن علاقة عاطفية كانت تجمع الأمير والسيدة خيرة قبل زواجهما، وهو فعلا ما لا يتقبله عقل سيما وأن برونو يلمح الى ان تلك العلاقة لم تكن عفيفة.

كما حاولت الكاتبة الرد على كل مؤرخ انتقد أو أبدى رأيه في بعض مواقف الأمير ومع أن النقد حق مشروع للمؤرخين إلا أن الكاتبة تبدي نوعا من التعصب في الرأي إضافة الى استعمالها لألفاظ كان بإمكانها الاستغناء عنها ككلمة "هراء" وكذا انتقادها بل ومهاجمتها ليحي بوعزيز مثلا لأنه أبدا رأيه في ما قام به الأمير في أحداث تتعلق بفترة المقاومة المسلحة وخروجه من مدينة معسكر وتركها ليدخلها الفرنسيون، فحسبها أن يحي بوعزيز لم يكن له الحق في إبداء رأيه لأنه ليس عسكريا، وتضيف أن يحي بوعزيز متناقض لأنه من جهة يذكر أن الأمير شخصية عظيمة ومن جهة أخرى يقول أنه

استسلم، وأرى أن ما قالته بديعة الحسني ليس منطقيا لأن المؤرخ مطالب بأن يكون محايدا ويذكر الأمور كما وجدها وله أن يربط بين الأحداث وله حرية التعليق عليها، ومن حقه أن يذكر الأشياء التي توَصَّل إليها من خلال مصادر ومراجع إعتمد عليها، وهذا لا يسيء إلى الأمير في شيء بل بالعكس ما يسيء للأمير هو عدم الإعتراف بأخطاء يكون قد إرتكبها أكيد دون قصد منه وجلَّ من لا يُخطئ، و نلاحظ أيضا تأكيدها غير المعقول على أنه معصوم وكأنه ليس من البشر يخطئ ويصيب مثلهم.

بالنسبة لموضوع الاستسلام فلا أرى شخصيا أن هناك انتقاصا من شخصية الأمير عندما يذكر المؤرخون بانه قد استسلم، لأن استسلامه لا يعني أنه خان او أن شخصيته ضعيفة، وإلا فاننا نتهم بعض القادة الذين استسلموا لاعدائهم خوفا من التنكيل الذي قد يطال شعوبهم حالة استمرارهم في مقاومة العدو بأنهم خونه، ونحن نعلم أن محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي لقب بأسد الريف وهو بطل من أبطال المغرب الأقصى قد استسلم أيضا ولم ينقص ذلك من قيمته كبطل في شيء، وكان ولازال يحظى بالاحترام وبمكانة عليا، فقد كان بطلا وبقي كذلك حتى بعد وفاته ولا زال يحظى بها إلى غاية اللآن. إضافة إلى هذا نجد أسلوب الكتابة لدى بديعة الحسني في هذا الكتاب يتميز بالطابع الأدبي، مثله مثل كتابها فكر الأمير الذي تنطبق عليه الملاحظات السابقة الذكر نفسها.

كما اتَّصلتُ بحفيد الأمير جعفر الحسني الجزائري، الذي أفادني بمعلومات قليلة جدا، مع أن لديه كم هائل من المعلومات والوثائق المتعلقة بالأمير عبد القادر و بأحفاده، وكان بإمكانه تزويدي بما يفيدني في بحثي ويفيد غيري، إلا أن ذلك لم يحدث وأجهل السبب، ورغم ذلك فقد حاولت الإتصال به لكنه لم يرد رغم اطلاعه على رسائلي، علما أنّه في أوَّل الأمر وعدني بالمرافقة خلال مراحل إنجاز هذا البحث.

اتَّصلتُ ايضا بزهور بوطالب حفيدة عم الأمير عبد القادر الشيخ علي بوطالب، وقد أبدت حينها تعاونا، لكنني لم أتمكن من أخذ معلومات منها ولو قليلة، ربما يعود ذلك إلى انشغالاتها حيث اتّصلت بي إثر رسالة أرسلت بها إليها، واتصلتُ بها وأخبرتها عن الموضوع وأبدت تعاونا الا أنها مرت بظروف صحيّة بعد ذلك دخلت على إثرها المستشفى، وأود أن أُشير فقط إلى انه كان لي العام الفارط أيضا إتصال بها حيث طلبت منها أن تزودني في حدود الإمكان بصورة عن مخطوط من مخطوطات الأمير أو أحد أبنائه أو أقاربه لإنجاز بحث في مقياس منهجية البحث إلا أنني أيضا لم أتمكن من الحصول على ما طلبته، وهذا ربما يعود إلى كثرة انشغالاتها. كما طلبت منها مؤخرا تزويدي بمخطط واضح لزمالة الأمير، بعد أن أرسلت لها بصورتين غير واضحتين لمخطط عن هذه الزمالة كنت قد جلبتُهما من الأنترنيت فأكَّدَت لي أنها لا تملك إلا المخططين ذاتهما فقط.

لقد واجهتني بعض الصُّعوبات أثناء انجازي لهذا البحث، وأهمها تضارب بعض المعلومات، إضافة إلى وجود روايات متعددة حول بعض الأحداث. ومن بين الصعوبات أيضا التي صادفتها هو تزامن إعدادي لهذا البحث في ظل جائحة كورونا وما ترتب عنها من تطبيق إجراءات تتماشى والوضعية الصحية التي عاشتهاوتعيشها البلاد على غرار باقي دول العالم، سيما بعد الإنتشار الكبير للفيروس بجميع ولايات الجزائر، وقد تمثل المشكل الذي خلقته هذه الظروف الإستثنائية في عدم تمكني من زيارة المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة ومكتبات أخرى بمناطق مجاورة، وأيضا عدم تمكني من السفر الى ولاية معسكر مسقط رأس الأمير عبد القادر التي تتواجد بعض مخلفاته أو آثاره وتواجد أحفاد له بهذه الولاية الذين كنت آمل أن ألتقيهم وأن أُجري عدد من المقابلات الشفوية معهم ، كما كنت أتمنى السفر أيضا إلى دمشق وهو الحلم الذي لا يمكن أن يتحقق حتى في حالة عدم ظهور كوفيد 19، نظرا للظروف الأمنية التي تعيشها سورية منذ 2011، إضافة إلى عدم تزويدي نهائيا وبعدم تزويدي بمعلومات وافية من قبل من إتَّصلت به من أحفاد الأمير عبد القادر إلا بمعلومات شحيحة رغم انها معروفة وبعض الصور التي كانت أصلا متوفرة من قبل على صفحة الفايس بوك لمؤسسة الأمير عبد القادر الوطنية بدمشق، ومتناقلة أيضا عبر عدد من المواقع، وأيضا بكتاب واحد نخبة ما تسر به النواظر كما سبقت الإشارة اليه.

الفصل الأول: مولد ونشأة الأمير عبد القادر الجزائري ومقاومته للاحتلال

- **المبحث الأول: المولد والنشأة.**
- **المبحث الثاني: مبايعة الأمير عبد القادر ومقاومته للاحتلال الفرنسي.**
- **المبحث الثالث: نهاية المقاومة وتسليم الأمير.**

الفصل الأول: مولد ونشأة الأمير عبد القادر الجزائري ومقاومته للإحتلال الفرنسي:

ينتمي الأمير عبد القادر إلى عائلة عريقة معروفة من الغرب الجزائري، تقطن بسهل غريس بقرية تدعى القيطنة تابعة إداريا لولاية معسكر، وكانت عائلته التي تنتمي إلى قبيلة آل هاشم ذات علم وجاه ومن العائلات شريفة النسب التي يعود نسبها إلى الحسن بن فاطمة الزهراء إبنة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الأول: المولد والنشأة:

المطلب الأول: مولده ونسبه:

أ- مولده:

اختلف المؤرخون في تاريخ ميلاد الأمير عبد القادر، فهناك من يذكر أنه ولد في 22 رجب 1222هـ الموافق ل ماي 1807م[1]، فيما ذكر آخرون أن ميلاده كان بتاريخ 15 رجب 1223هـ الموافق ل 06 سبتمبر 1808م[2]، بقرية القيطنة بسهل غريس بمعسكر، ببيت علم، كان والده الحاج محي الدين بن مصطفى[3] رجل علم ودين، ومقدم الطريقة القادرية وشيخ زاوية القيطنة[4]، وكانت لديه أربع زوجات، ووالدة الأمير عبد القادر هي ثالث زوجاته[5] وهي السيدة زهرة بنت سيدي عمر الدخا[6]، إمرأة متعلمة لديها أيضا من الشيخ محي الدين ابنته خديجة[7]، وكان عبد القادر أول أطفالها ورابع طفل لدى زوجها محي الدين.

---

[1] يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1980، ص41.

[2] برونو اتيين، عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشال خوري، الطبعة 02، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشروالاشهار، دالي براهيم- الجزائر،2002، ص33.

[3] الشريف محي هو حفيد الاماماحمد المختار والمعروف بالمجاهد الذي ولد في مدينة كاشر وقاتل الاسبان عام 1163هـ/1797م، واستشهد في ساحة مدينة وهران ودفن في تربة أجداده في غريس، وكان اماما جليلا من العلماء العاملين وفارسا شجاعا وهو والد سيدي مصطفى الذي تركه صغيرا في عهدة أعمامه، والامام مصطفى هو والد الشريف محي الدين والد الأمير عبد القادر. ينظر: بديعة الحسني الجزائري، الأمير عبد القادر حياته وفكره وما بدلوا تبديلا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الطبعة 02، الجزء 02، دار الوعي للنشر والاشهار والتوزيع، رويبة-الجزائر، 1433هـ/2012م، ص155.

[4] ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للابداع الشعري، الكويت، 2000، ص155.

[5] Clara Filleul Pétigny, L'Algérie. Clermont Thibaud-Ladroit freres; editeurs, 1851, page121.

[6] برونو أتيين، المرجع السابق، ص33-34.

[7] Clara Filleul Pétigny, L'Algérie, page 121.

ب- نسبه:

هو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر بن أحمد المختار بن عبد القادر بن أحمد المعروف بابن خدة إسم مرضعته بن محمد بن عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد القوي ين خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن أحمد بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول محمد عليه الصلاة والسلام[1].

المطلب الثاني: نشأته ورحلته إلى الحج:

أ- نشأته:

نشأ الأمير عبد القادر وسط عائلة متشبعة بالعلم وبالثقافة، وفي بيئة محافظة أهلها متشبثون بتعاليم ديننا الاسلامي الحنيف، وقد عُرف الأمير عبد القادر منذ نعومة أظافره بنباهته وبفطنته وبذكائه الحاد، هذه الميزات التي لاحظها والده فيه، جعلت محي الدين يهتم به اهتماما بالغا، فالصفات والميزات التي كان يتميز بها طفله عبد القادر وحباه الله بها، قلما نجدها مجتمعة في شخص بالغ فما بالك في طفل صغير أقرانه يعجزون حتى على نطق كلمة بحروف صحيحة وسليمة. وقد ساهم الوالد في تنمية قدرات إبنه وتطوير مستوى النبوغ الذي كان يتمتع به[2]، وقد تُرجمت عبقرية عبد القادر الطفل في أنه أحسن القراءة والكتابة أيضا وهو لم يتجاوز سن الخامسة، وفي سن الثانية عشر أصبح متمكنا في أصول الشريعة حافظا لكتاب الله والأحاديث النبوية الشريفة، أما في عمر الرابعة عشر فقد أصبح يلقي دروسا في أصول الدين بالمسجد[3]، بعدما حرص والده محي الدين طيلة سنوات على تلقينه أصول الفقه وعلم التفسير والحديث والنحو أيضا[4].

---

[1] عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق محمد بهجت البيطار،الجزء02، مطبوعات الجامع العلمي العربي، دمشق، 1832، 1963، ص884-885.

[2] علي الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر تاريخ الجزائر الى ما قبل الحرب العالمية الأولى، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ص352.

[3] شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر ، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، ماي 1974، ص39-40.

[4] عبد القادر بن محي الدين، مذكرات الأمير عبد القادر سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849، تحقيق محمد الصغير بناني وآخرين، الطبعة 07، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان- الجزائر، 2010، ص50.

وفي سنة 1821 إنتقل إلى مدينة أزيو لمواصلة تعليمه[1] وهو دون الخامسة عشر من العمر، بحيث تتلمذ على يد أحد القضاة المدعو أحمد الطاهر البطيوي، ثم سافر إلى وهران أين التحق بمدرسة أحمد بن خوجة، ودرس بها مختلف العلوم لمدة عام واحد حسب ما ذكره سعيدوني[2]، فيما يشير الصلابي إلى أن مدة دراسة الأمير عبد القادر في المدرسة ذاتها دامت عامين، تتلمذ خلالها على يد عدة مشايخ[3]، منهم مصطفى الهاشمي ومحمد بن نقريد. وكما سبقت الإشارة إليه فإن تعليمه لم يقتصر على الفقه والحديث وأصول الدين، بل درس موازاة مع هذه العلوم، علوم اخرى مثل التاريخ والفلسفة[4] والأدب وغيرها من العلوم العقلية والنقلية. وتجدر الاشارة الى في هذا السياق إلى أن الأمير عبد القادر إهتم أيضا بدراسة رسائل إخوان الصفا، وكذا فكر ارسطو طاليس وفيتاغورث[5]. وفي سنة 1823 عاد إلى القيطنة بحيث قام والده بتزويجه من إبنة عمه السيدة خيرة بنت علي أبي طالب[6].

بالإضافة إلى حبه للعلم والنهل من مختلف العلوم، فقد إهتم الأمير عبد القادر بالخيل وبفنون الفروسية منذ صغره، فما إن بلغ سن السابعة عشر حتى أصبح فارسا قويا، فارسا بامتياز لا يجاريه أحد في الفروسية، سيما وأنه كان يتمتع بالشجاعة والاقدام وبالقوة البدنية.

ومن خلال ما تقدم، ندرك أن الأمير عبد القادر تمتع منذ صغره بشخصية قوية متفردة، شخصية تُمكن كل من إحتك بصاحبها من التنبؤ له بأن يكون له شأنا كبيرا، كما ندرك أن شخصية الأمير عبد القادر ساهمت في بنائها عدة عوامل، من بينها نسبه الشريف الذي ينتهي ألى علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة الزهراء إبنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى نشأته في بيت علم وتلقينه تربية عالية صالحة على يد والديه، فوالدته السيدة زهرة كانت سيدة متعلمة ومثقفة وذات أخلاق عالية، ووالده محي الدين كان عالما وقد حرص على تعليم إبنه بسخاء، وإهتم به أكثر من إهتمامه ببقية أبنائه لما رآه فيه من ذكاء لافت ونباهة وقوة شخصية، كما كانت عائلته تحظى بمكانة عالية لدى اهل معسكر بخاصة وأهل الغرب الجزائري بعامة.

---

[1] علي الصلابي، المرجع السابق، ص252.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص155-156.

[3] علي الصلابي، المرجع السابق، ص353.

[4] قوراري سليمان، شخصية الأمير عبد القادر وتجلياتها من خلال بعض مؤلفاته، الحقيقة، مجلة علمية دولية محكمة فصلية، جامعة أحمد دراية أدرار، العدد 31،ديسمبر 2014، ص51.

[5] عبد القادر بن محي الدين، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، المعني به عاصم ابراهيم الكيالي الحسني الشاذلي الدرقاوي، الطبعة 01، الجزء 01، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1425هـ/2001م، ص09.

[6] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص156.

ب- رحلته الى الحج:

*من الطريق إلى الحج إلى الإقامة الجبرية:

إن زيارة بيت الله الحرام وآداء مناسك خامس ركن في الاسلام، كان حلم عبد القادر الشاب إبتغاء مرضاة الله تعالى، وجاءت الفرصة لتحقيقه لحلمه هذا، حين عزم والده على الخروج إلى الحج معه دون سواه من أبنائه الآخرين الذين تزَجَّوه لمرافقة لكنه أبى ذلك، وخرج مع إبنه عبد القادر من القيطنة شهر أكتوبر 1823، قاصدا الأراضي المقدسة، لينتشر الخبر بين الناس، فجاءته أعداد هائلة من الراغبين منهم في الإنضمام إليه في رحلته إلى الحج. وبينما كان الركب حاطا رحاله عند نهر جديوة، قدم عليه فارس تركي الذي دخل إلى خيمة محي الدين وسلمه رسالة كان يحملها إليه من باي وهران الباي حسن يطلب منه فيها المجيء إليه فورا إلى وهران، ورغم توجس الناس خيفة من الباي لأنهم شعروا بعدم الإرتياح من هذا الطلب مبدين خوفهم على حياة محي الدين، إلا أن الأخير قرر السفر إلى وهران تنفيذا لأمر الباي، الذي أخبره عند لقائهما أنه خشي عليه من غضب الداي حسين ولذلك طلب منه الحضور، إلا أأن الحقيقة هي أن الباي كان يحسده نظرا لشعبيته وإعتبره مصدر خطر عليه، ولذا وضعه وإبنه تحت المراقبة الشديدة والتضييق والعزلة لمدة عامين ثم أخلى الباي سبيلهما فخرجا من وهران مباشرة في طريقهما إلى الحج حسب ما جاء في كتاب تشرشل[1].

ويتفق على معظم ما جاء في كتاب تشرشل، فيما يتصل بهذه الحادثة، العديد من المؤرخين والمهتمين بسيرة الأمير عبد القادر مع وجود بعض الاختلافات، فعلى سبيل المثال يذهب يحي بوعزيز إلى أن محي الدين وإبنه ذهبا إلى وهران في سنة 1821 بحيث وضعتهما السلطات العثمانية تحت الاقامة الجبرية نظرا لما كان يتمتع به محي الدين من شعبية ومكانة بين الأهالي الذين كانوا ينظرون إليه على أنه الزعيم الذي بامكانه تخليصهم من الحكم العثماني المتسلط، فخشي العثمانيون من شعبيته، هذه الشعبية التي قد تزداد توسعا ويُعلَن محي الدين زعيما فتقوى شوكته ويخلق لها بالتالي العديد من المشاكل، ليخلى بعد ذلك سبيلهما والسماح لهما بالسفر لآداء فريضة الحج وكان ذلك عام 1825، وأن الأمير عبد القادر قد تمكن خلال سنتي الاحتجاز ووالده من الوقوف على حقيقة ضعف وهشاشة الحكم العثماني[2]، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الأمير لم يترك السنتين تمران دون أن يحقق

[1] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص42-45.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص42.

شيئا، بل إنه إغتنم تلك الفترة التي بقي فيها ووالده رهن الاقامة الجبرية ودرس فيها وإكتسب رصيدا علميا إضافيا حيث كان يدرس دون كلل أو ملل.

أما ناصر الدين سعيدوني فيذكر أنه بعد زواج الأمير عام 1823 خرج مع والده قاصدا الحجاز، وبقيا بناحية وهران إلى أن حول أعوان الباي حسن إتجاه الركب إلى مدينة وهران ووضعهما في الحجز ليطلق سراحهما بعد تدخل أعيان المخزن وأفراد من أسرة الباي، مضيفا أن هذه الحادثة هي التي جعلت الأمير عبد القادر يغير رأيه في العثمانيين وأصبح متخوفا منهم[1] بعد أن كان يكن لهم كل الاحترام ويثق بهم. في حين أن المهتم بسيرة الأمير عبد القادر علي الصلابي لم يذكر هذه الحادثة في كتابه، ونلاحظ من خلال كتاباته وتدخلاته تاكيده على أن الأمير كان وظل إلى غاية وفاته يكن كل الاحترام للعثمانيين، كما يذهب إلى تكذيب تشرشل الذي يشير إلى توتر العلاقة بين الأمير والعثمانيين. أما إبن الأمير عبد القادر محمد باشا فقد أورد في كتابه حول ما اتصل بالحادثة أن سبب إحتجاز جده ووالده هو الوشاية بجده محي الدين لدى باي وهران، وأن تلك الوشاية جاءت من طرف أناس حاقدين نظرا للحب و التقدير الذي يكنه الناس لجده الذي كثر حساده الذين أوهموا الباي حسن أن محي الدين سيكون سببا في تأليب الرعية عليه، وأنه بعدما تأكد الباي من أن الأمر مجرد كذب وإفتراء وراءه الحسد والغيرة وبعد تدخل بعض الأطراف أُطلق سراحهما[2].

***ذهابه الى الحج والعودة الى الجزائر:**

بعد إطلاق سراحهما إنطلق محي الدين وإبنه في طريقهما لآداء فريضة الحج إنطلاقا من وادي سيق مرورا بعدة مناطق من الغرب إلى شرق البلاد، ثم دخلا الأراضي التونسية، أين أقاما 11 يوما في ضيافة علمائها[3] منهم أحمد المازري. وبعد أخذهما لراحة بتونس ركبا مركبا قاصدين الذهاب إلى الإسكندرية بحرا، لكن عاصفة بحرية إعترضت طريق المركب الذي كانا على متنه في عرض البحر مما جعلهما يعودان إلى تونس، ولم يتمكنا من مغادرتها نحو الاسكندرية إلا بعد مرور أسبوعين كاملين نظرا لقلة المراكب، ووصلا أخيرا إلى الاسكندرية[4].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابقن ص156.

[2] محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر عبد القادر وأخبار الجزائر سيرته القلمية، الجزء 02، المطبعة التجارية، الاسكندري- مصر، 1903، ص302-303.

[3] عبد القادر بن محي الدين، المصدر السابق، ص107.

[4] برونو أتيين، المرجع السابق، ص97.

خلال إقامتهما بالأسكندرية زار محي الدين وإبنه عديد المؤسسات الدينية بها، لينتقلا بعد ذلك إلى القاهرة التي قاما بها بزيارة إلى الشيخ عطا الله السكندراني، كما سمحت لهما الفرصة بزيارة مساجدها وكذلك الإحتكاك بمشايخها وبعلمائها، منهم علي بن محمد الميلي[1]. كما تمكن الأمير عبد القادر عندما كان بالقاهرة لمرة واحدة وكانت الأولى والأخيرة في حياته من لقاء محمد علي باشا والي مصر، الذي دعاهما إلى قصره بعدما علم بتواجد محي الدين بالقاهرة، وخلال لقائهما تجاذب محمد علي ومحي الدين أطراف الحديث حول عدد من القضايا والأمور، وعلى رأسها أحوال البلاد الإسلامية، ومشكل الدول الاوروبية الطامعة في إقتسام العالم العربي[2] .

بعد الإقامة عدة أيام بالأراضي المصرية توجه محي الدين بصحبة إبنه عبدالقادر إلى البقاع المقدسة عن طريق البحر الأحمر، فوصلا جدة ثم إنتقلا إلى مكة المكرمة، وأديا مناسك الحج والعمرة، وبالمدينة المنورة زارا قبر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وقبور زوجاته والصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين، ليتوجها بعد ذلك إلى الشام التي أقاما بها شهرين، ثم قررا التوجه نحو بغداد وزارا بها ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني، وإلتقيا بها بالعديد من المشايخ والعلماء، ليعودا بعد ذلك إلى البقاع المقدسة وأديا فريضة الحج[3] ، ثم عادا إلى الجزائر وإلى أهلهما بالقيطنة بمعسكر، بعدما مرا بالشام ثم مصر فإقليم برقة وزارا قبر مصطفى بن محمد والد محي الدين المدفون قرب منطقة درنة، مرورا بطرابلس الغرب والأراضي التونسية[4]. وقد عاد محي الدين وإبنه عبد القادر من الحج إلى الجزائر بداية سنة 1828[5]، ولم تكن حينها البلاد على حالها الذي تركوها عليه، ليبدأ بعد عامين من هذه العودة فصل جديد وخطير وحاسم من فصول حياة الأمير عبد القادر.

[1] علي الصلابي، المرجع السابق، ص357.

[2] برونو اتيين، نفسه، ص100.

[3] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص303.

[4] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص157.

[5] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص46.

المبحث الثاني: مبايعة الأمير عبد القادر ومقاومته للاحتلال الفرنسي:

المطلب الأول: مبايعة الأمير:

لم تأت بيعة الأمير عبد القادر من فراغ، لكنها كانت أمر وجب حدوثه، نظرا للظروف التي كانت تعيشها البلاد، إضافة إلى إمتلاك شخصية الأمير عبد القادر الكاريزما التي تؤهله لأن يضع الناس ثقتهم فيه وتحميله المسؤولية لضبط الأمور وحمل لواء الجهاد ضد الإحتلال الفرنسي.

أ- البيعة الأولى (الخاصة):

عند بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، أدرك الجزائريون أن الدولة العثمانية وعقب طرد موظفيها من البلاد، بعد إمضاء الداي حسين لوثيقة الإستسلام وخروجه وأهله وحاشيته ومقربيه من البلاد دون اكتراث لمستقبلها وإلى ما ستؤول اليه الأمور بالجزائر، أدركوا أنها لن تعمل أي شيء من أجل إنقاذهم والبلاد من الغازي ولن تسارع إلى نجدتهم[1]، وكان لزاما إعلان المقاومة المسلحة، علما أن بورمون كان أول ما هداه إليه تفكيره هو حل المؤسسة العسكرية والمتمثلة آنذاك قي مؤسسة الجيش الإنكشاري.

كان موظفوا الادارة العثمانية أول من رفع لواء الجهاد بعد أن فضلوا عدم ترك الجزائر والبقاء فيها، اضافة الى الجزائريين من اشيوخ وزعماء للقبائل[2]، ومن بينهم الشيخ محي الدين بن مصطفى الذي تحمس للجهاد لتشبعه بالايمان، فأعلن المقاومة ضد المحتل إثر سقوط وهران وإستسلام باي بايلك الغرب حسن باي، فلم يكن يساوره أدنى تردد في ضرب الفرنسيين لإسترجاع عاصمة بايلك الغرب منهم[3].

وفي خضم ذلك ونظرا لقضاء الفرنسيين على مؤسسات الدولة، عمت الفوضى في البلاد، التي أضحت بلا راع يكون مسؤولا عن رعيته ويضبط أمور بلده، وازدادت حدة ممارسة الضغط والتعسف والظلم ضد المستضعفين وإختلطت الأمور وتشابكت، فإجتمع عند الشيخ محي الدين الوجهاء والأعيان والعلماء ملحين عليه بضرورة قبول بيعتهم له أو لابنه عبد القادر بعد أن وجدوا فيه كل الصفات التي تمكنه من أن يكون قائدهم سيما بعدما أبلي البلاء الحسن وأظهر شجاعة كبيرة وقوة في معركة خنق النطاح الثانية التي أسند فيها محي الدين القيادة لابنه. ونظرا لعجزه فضل محي الدين أن تكون البيعة

---

[1] بركات محمد مراد، الأمير عبد القادرالمجاهد الصوفي، دار النشر الالكترونية، ص13.

[2] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، الطبعة03، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص56-58.

[3] خالدي بلعربي، الشيخ محي الدين بن مصطفى من مشيخة الطريقة القادرية الى زعامة المقاومة المسلحة 1776م-1833م، آفاق للعلوم، مجلة دولية محكمة، جامعة زيان بن عاشور الجلفة،عدد 06، 2017، ص73.

لولده فإجتمع الوافدون من علماء ومشايخ وأعيان لبيعة عبد القادر في مكان يدعى واد فروحة عند شجرة الدردارة التي دأب أهل الحل على الإجتماع عندها للشورى بينهم وطرح مختلف القضايا. وبويع الأمير عبد القادر على السمع والطاعة، ولقبه والده خلال هذه البيعة بناصر الدين، وكان ذلك في 03 رجب 1248هـ الموافق ل 27 نوفمبر 1832م[1].

يذكر شقيق الامير عبد القادر أحمد بن محي الدين، أن والدهما لما كانت تعرض عليه البيعة كان "يتحجج" في كل مرة بحجج كتقدمه في السن، وذلك حتى لا يقبل بالبيعة له، نظرا لإدراكه لمدى ثقل المسؤولية التي ستلقى على عاتقه حالة تمت مبايعته، ولذا فقد قدم إبنه عبد القادر نظرا لما يتميز به من ذكاء وقوة إيمان وشخصية، وقوة بدنية ورجاحة عقل، إضافة إلى قدرته على مواجهة أصعب المواقف فضلا عن علمه الغزير في العديد من المجالات[2]، ولم يعترض إخوته على إختياره وتزكيته من قبل والدهم وجلسوا يوم البيعة وعلامات الرضى والسرور بهذا الاختيار ظاهرة عليهم، وبعد جلسة البيعة تحت شجرة الدردار تمت المصادقة عليها بمسجد الحسن بعين البيضا[3].

وإرتأيت في سياق الحديث عن البيعة الأولى، أن أُعرج على ما جاء في كتاب الآغا بن عودة المزاري، حيث يذكر أنه قبيل معركة خنق النطاح الثانية، وفي إحدى خطب الشيخ محي الدين في الناس التي حثهم فيها على الجهاد في سبيل الله وعن الاستشهاد وفضائله، طلب تزكية واحد منهم لمبايعته، وأكد لهم في الوقت ذاته أنه يرى أن شروط الامارة كلها متوفرة في الآغا مصطفى بن اسماعيل وهم بمبايعته الا أن بن اسماعيل رفضها علنا وبشدة، قائلا للشيخ بأن الإمارة لا تصلح إلا للشريف محي الدين لعلمه الغزير وأعماله التطوعية الخيرية ووزن وسماع كلمته، فأجابه الشيخ أن لا قدرة له على تحمل تلك المسؤولية في سنه المتقدم مقترحا إبنه عبد القادر للبيعة [4]. إن هذه الحادثة لم نجدها في عدة مصادر ومراجع لا في تحفة الزائر ولا عند أحمد بن محي الدين أو تشرشل، كما لم نصادفها لدى ناصر الدين

---

[1] محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر عبد القادر وأخبار الجزائر، سيرته السيفية، الجزء 01، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الاسكندري-مصر، 1903، ص101.

[2] احمد بن محي الدين، نخبة ما تسر به النواظر وابهج مايسطر في الدفاتر في بيان تولية ذي الكمال الطاهر والنسب الطاهر سعادة الأمير السيد عبد القادر بن محي الدين في اقليم الجزائر، مستخرجة من مخطوط كتاب تعطير الشام في محاسن دمشق اجمال الدين القاسمي، مؤسسة الأمير عبد القادر الوطنية، سورية، 2020، ص48-49.

[3] علي الصلابي، المرجع السابق، ص360.

[4] بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا الى اواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، الجزء02، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، ص100.

سعيدوني أو أبو القاسم سعد الله وهو ما يفتح المجالا للبحث في هذه الحلقة التي جاءت في مخطوط للآغا بن عودة المزاري.

ب- البيعة الثانية (العامة):

بعد البيعة الخاصة، شرع الأمير عبد القادر في دعوة الناس إلى الجهاد، وراح ينظم الأمور ويوحد الصفوف للوقوف في وجه العدو ومحاربته بلا هوادة، كما كان عقب البيعة ذاتها يفصل في النزاعات، فكان القاضي الذي تمكن بفضل علمه وعدله من تحقيق الوئام بعد فصله في العديد من القضايا، خاصة تلك التي كانت بين القبائل، كما بدأ في وضع اللبنات الأولى لتكوين جيش قوي ومنظم. ورغم حداثة جيشه في بداية تكوينه وقلة عدده فقد تمكن من دحر الجيش الفرنسي في مواجهات بينهما. وبعد أن شاعت الأنباء حول شجاعة الأمير التي أظهرها خلال معركة خنق النطاح الثانية، وعقب إنتشار أخبار البيعة الأولى أيضا، وفَد على بيت والده بالقيطنة بمعسكر الشيوخ والأعيان والعلماء والأشراف بأعداد كبيرة قادمين إليه من عدة مناطق لمبايعة الأمير عبد القادر، وعلى إثر ذلك تم عقد جلسة عامة بويع خلالها الأمير بيعة ثانية أوعامة[1] على الطاعة والجهاد في سبيل الله، وخلال إتمام إجراءات البيعة خاطب الأمير الحاضرين متحدثا عن عظم المسؤولية التي ألقيت على عاتقه، داعيا الله أن يوفقه، ومُذكرا إياهم بضرورة التحلي بالإيثار وبتجنب العنصرية تحقيقا لتعاليم الدين الإسلامي. ولعل من أبرز ما جاء أيضا في كلام الأمير تأكيده على أن المنصب الذي تولاه لن يؤول بالوراثة إلى أبنائه وأحفاده من بعده، رافضا لقب السلطان، فاستحسن الناس قوله واستبشروا به خيرا ثم قام الشيخ بن حوا لقراءة نص البيعة[2].

ويذكر يحي بوعزيز أن العبقرية التي أظهرها الأمير خلال حصاره لمدينة مستغانم عام 1833 أي عقب البيعة الثانية ومع أنه لم يفلح في دخولها نظرا لقوة تحصيناتها' إلا أن تلك العبقرية والصمود والعناد جعلوا شهرته تنتشر في ربوع الجزائر وبايعه الجزائريون من مختلف جهات البلاد وانضموا لجيشه لمحاربة المستعمر الغاصب[3].

---

[1] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص101.

[2] بديعة الحسني الجزائري، الأمير عبد القادر حياته وفكره وما بدلوا تبديلا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الطبعة 02، الجزء 02، دار الوعي للنشر والاشهار والتوزيع، رويبة-الجزائر، 1433هـ/2012م، ص15.

[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص51.

المطلب الثاني: مقاومة الأمير عبد القادر:

لم تنطلق مقاومة الأمير عبد القادر للإحتلال الفرنسي بعد مبايعته، لكن لواء الجهاد رفعه قبل ذلك تحت راية والده، إذ أن المقاومة المسلحة قادها محي الدين في وهران دون سواه وكان قد أعلنها سنتين ونصف قبل تاريخ البيعة الخاصة، وقد تعلم الأميرخلال هذه الفترة فنون القتال وما يتطلبه الميدان من تقنيات عسكرية في القتال ومجابهة العدو[1]، علما أن التصدي لعدو أجنبي يتمتع بقوة عسكرية هائلة، جيشه نظامي قوي بشريا وماديا، تابع لدولة مثل فرنسا كان مسألة جديدة على الجزائريين آنذاك، وكانت مقاومته مسالة شبيهة إلى حد كبير بالمغامرة، إلا أن الكرامة ووجوب الدفاع عن البلاد جعلت الجزائريين يجابهون عدوهم بكل ما تأتّى لهم من قوة.

وسأقف فيما يأتي على بعض المعارك التي واجه فيها الأميرعبد القادر الجيش الفرنسي قبل مبايعته وبعدها أيضا.

أ- معركة خنق النطاح الأولى:

مع بداية الاحتلال أعلن محي الدين بن مصطفى الجهاد ضد فرنسا في الغرب الجزائري، ورغم حصوله على تأييد كبير من قبل الأهالي إلا أن مقاومته كانت تفتقر إلى التنظيم[2]، فالمقاومة كانت تنقصها الخبرة في المجال العسكري كما أن المقاتلين لا تدريبهم ولا عددهم ولا حتى عدتهم متكافئة مع ما كان يتمتع به الجيش الفرنسي من عدد وعدة وتدريب عالي، ولذا فقد إعتمدت المقاومة على أسلوب الكر والفر او ما يطلق عليه بحرب العصابات في مواجهة جيش الاحتلال.

في أواخر شهر مارس من سنة 1832 دعا محي الدين إلى عقد اجتماع في بيته بالقيطنة حضره رؤساء القبائل، حثهم خلاله على الجهاد وعلى ضرورة الإتحاد من أجل دحر المستعمر، وخرج هذا الاجتماع بالإتفاق على تكوين وتدريب المقاتلين على إستعمال مختلف الأسلحة المتوفرة مما قد يعطي قوة أكثر للمقاومة. وعقب عودة عبد القادر بن زيان وهو احد رجال محي الدين من المهمة التي كُلِّف بها والمتمثلة في معرفة أماكن التي يتمركز بها الجيش الفرنسي بالمنطقة، أخبر قائده بعثوره على قوة عسكرية فرنسية بمنطقة خنق النطاح، فنظم محي الدين رجاله وزحف بهم نحوها، ودارت بين الطرفين معركة كان خلالها الأمير عبد القادر يعمل على الرفع من معنويات المجاهدين ويقاتل في الوقت ذاته بكل شراسة،

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، الطبعة 01، الجزء 01، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 1992، ص172.

[2] بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص15.

وفقد الطرفان خلال هذه المعركة عدد من العناصر المقاتلة، إلا أن محي الدين أحرز فيها انتصارا على الجيش الفرنسي[1] وكان ذلك في أواخر ذو الحجة سنة 1247هـ الموافق ل 29 ماي 1832[2].

ب- معركة خنق النطاح الثانية:

عزم محي الدين على مهاجمة الجيش الفرنسي بمدينة وهران رفقة أبنائه عبد القادر ومحمد السعيد ومصطفى وحفيده أحمد ذوالخمس عشرة سنة إبن محمد السعيد، وإثر وعكة صحية أصابته في منتصف الطريق، تخلف الوالد عن المعركة[3] التي كان رجال محي الدين فيها تحت قيادة الأمير عبد القادر نيابة عن والده، وقد لعب الأمير دورا كبيرا شحذ همم المجاهدين والرفع من معنوياتهم بِحثِّهم على الجهاد والثبات، مُظهرا حنكة كبيرة في تنظيم المقاتلين، حيث قسمهم الى فرق للقتال وأخرى للحماية وثالثة لنصب كمين خلفي للعدو. وانتصر الأمير في المعركة على الجنرال بواييه الذي فر وجنده ليلا بعد أن تكبد خسائر في الأرواح والعتاد[4]. وفقد شقيق الأمير محمد السعيد إبنه المقاتل الذي إستبسل في القتال رغم صغر سنه إلى أن إستشهد بطلق ناري، ولم يترك الأمير عبد القادر جثة إبن أخيه للعدو بل حملها في مشهد مُؤثر وبطولي وصفه بدقة متناهية أحمد بن محي الدين والذي أشار إلى أن الأمير لم يخش وهو يحمل جثة الفتى بين يديه نيران المدافع ولا رصاص العدو[5].

ج- معركة المقطع:

أرادت قبائل الزمالة والدوائر الخضوع لفرنسا على أن يتم توفير الحماية لها، فغضب منهم الأمير وراسلهم آمرا إياهم بالعودة إلى جادة الصواب والعدول عما هم مقبلون عليه، إلا أن هذه القبائل عاندت وقامت بتقديم فروض الطاعة والولاء للجنرال تريزيل، وهو ما جعل الأمير عبد القادر يحتج لدى حاكم الجزائر، لأن ما حدث يعتبر خرقا لمعاهدة ديميشال، وأمام تعنُّت الفرنسيين، دخل الطرفان في صراع وقامت بينهما معركة[6] أشعل فتيلها الجنرال تريزيل[7] بالمقطع أو نهر الهبرة في جوان 1835[8]

---

[1] بديعة الحسني الجزائري، نفسه، ص18.

[2] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص92.

[3] أحمد بن محي الدين، المصدر السابق، ص49-50.

[4] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص94.

[5] احمد بن محي الدين، المصدر السابق، ص50.

[6] محمد بن عبد القادر، نفسه، ص151-152.

[7] ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص176.

[8] محمد بن عبد القادر، نفسه، ص153.

إنهزم فيها الطرف الفرنسي هزيمة لم يكن يتوقعها. وإثر انهزامه عُزل تريزيل من منصبه وعين خلفا له الجنرال لامورسيير، كما تم أيضا عزل ديرلون وعين الجنرال كلوزيل حاكما عاما[1].

د- معركة السكاك:

أمام الضربات الموجعة التي كان يتلقاها الجنرال دولورانج حاكم وهران، على يد الجيش المحدي بقيادة الأمير عبد القادر، طلب الجنرال إمدادات بالسلاح وبالجنود للقضاء على الأمير عبد القادر وعلى مقاومته، فتم إرسال الجنرال بيجو من فرنسا نحو وهران على رأس 3000 من الجنودن وقبل أن يصل إلى تلمسان قادما إليها من وهران لدعم الجيش الفرنسي، وقعت بينه وبين الأمير عبد القادر معركة حامية الوطيس عند وادي السكاك في جويلية 1837[2]، هُزم فيها الأمير عبد القادر هزيمة كبيرة بعد أن خانه عدد من جنده[3] . وحول هذه المعركة يؤكد بلغيث أن الهزيمة النكراء للأمير في معركة السكاك التي أدت الى سقوط مدينة تلمسان هي هزيمته الأولى في مساره الجهادي ضد الفرنسيين، مضيفا أن قوة الأمير تراجعت بسبب كثرة معاركه ضد الجيش الفرنسي[4].

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص177.

[2] محمد بن عبد القادر، المصدر نفسه، ص167.

[3] بسام العسلي، الأمير عبد القادر الجزائري 1222-1300هـ/1807-1883م، الطبعة 03، دار النفائس، بيروت-لبنان، 1406هـ/1986م ،ص116.

[4] محمد الأمين بلغيث، تاريخ مباشر[على الخط] حصة تاريخية، تقديم عبد القادر جمعة، العدد 06، قناة البلاد، متاح على الرابط https://www.youtube.com/watch?v=fDt29QEh7uk ، 12 ماي 2019.

المبحث الثالث: نهاية المقاومة وتسليم الأمير:

المطلب الأول: نهاية المقاومة:

إن نهاية مقاومة الأمير عبد القادر لم تكن بين عشية وضحاها، كما أنها حدثت نظرا للعديد من العوامل والأسباب والظروف، منها ما هو معروف، ومنها ما لايزال غامضا إلى غاية الآن، لكن ما هو معروف أن مقاومة الأمير عبد القادر أصبح جليا أن مآلها هو الفشل، نظرا لمرورها ببعض المحطات ووجود وظهور بعض الإرهاصات التي كانت تنبئ بذلك، وهو ما حاولتُ أن أقف عليه من خلال ما سأتطرق إليه في هذا المبحث.

أ- خيانة الأمير والتمرد عليه:

لم يكن الأمير عبد القادر يحارب على جبهة واحدة فحسب، بل على جبهتين إثنتين، أولاهما جبهة معروفة والمتمثلة في الاحتلال الفرنسي، أما الثانية فتمثلت في القبائل المتحالفة مع الفرنسيين إضافة إلى الدجالينن مما ساهم في عدم توجيه كل تركيزه وقوته في إتجاه واحد أي باتجاه محاربة الإحتلال، بل تشتت تركيزه وتشتتت ضرباته وقوته التي وجهها لعدة أطراف، هذه الطراف التي كانت تحاول عَرقَلت مقاومته وأن تتمرد عليه، فتُصاب قوته بالوهن.

إن من بين القبائل التي تحالفت مع الفرنسيين نجد قبائل الدوائر والزمالة التي عينت فرنسا على رأسها مصطفى بن اسماعيل، ثم عينت ابن شقيه محمد المزاري على رأس هذه القبائل بعد مقتل عمه مصطفى، وقبائل بني عامر التي لم تكن مستقرة على مبدأ، هذا بالاضافة إلى قبائل أخرى ببعض مناطق الوطن، فنجد في الشرق مثلا قبائل وادي الزيتون التي كانت تبدي رغبتها في التعامل مع الفرنسيين بتقديمها لخدمات مقابل مبالغ مالية جد زهيدة، وقد زار هذه القبائل بتاريخ 29 ديسمبر 1837بيير بروجر عندما كان في طريقه إلى البويرة لمقابلة الأمير عبد القادر، ويذكر بروجر أنه بعد هذا التاريخ بأيام قلائل شتت الأمير شمل هذه القبائل لأنه أدرك أنهم لن يتوانوا عن التعامل مع الفرنسيين[1]، وهي الحادثة ذاتها التي يتحدث عنها صاحب تحفة الزائر، الذي يذكر أن الأمير ومباشرة بعد القضاء على فتنة البغدادي، قام بردع هذه القبائل نظرا لعدم دفعها لزكاة العشر، وإصرارها على الرفض رغم أنه نصحها وعاملها بحكمة، مضيفا أنه وبعد بطشه بهم إرتعبت قبائل أخرى مجاورة وخشيت من أن يؤول مصيرها

[1] بيير بروجير، مع الأمير عبد القادر رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير عبد القادر في البويرة 1837-1838، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، برج الكيفان-الجزائر، جانفي 2006، ص32.

الى ما آل إليه مصير قبائل وادي الزيتون، فما كان منها إلا أن جاءت إلى الأمير وأيدته وقدمت له فروض الطاعة[1]. ويكشف بروجير أن قبائل وادي الزيتون لجأت إلى الفرنسيين بمنطقة المتيجة طلبا للحماية منهم وهروبا من الأمير عبد القارد الذي "حطمهم" حسب روجير مثلما فعل بالكراغلة في تلمسان[2].

كما حارب الأمير عبد القادر الدجالين والمتمردين عليه والمناوئين له، منهم محمد البغدادي بجنوب إقليم التيطري، والذي دعى له بن عودة المختاري قبائل أولاد نايل واولاد موسى وغيرهما من القبائل، وأكد لهم بأنه المنتظر، في محاولة منه لإسقاط الأمير،حيث أن بن عودة حاول ومنذ مبايعة الأمير عبد القادر أن يتمرد عليه، وأن يسعى لأن يعلن البيعة لنفسه[3] ، وتمكن الأمير عبد القادر من كسر شوكة محمد البغدادي وكذلك شوكة بن عودة المختاري بعد عدم إنصياعها وتماديهما في التحريض ضد الأمير.

وتجدر الإشارة إلى أن الأمير عبد القادر تحول إلى الأغواط في عام 1838 أيضا لقمع كل من لم يقدم له الطاعة، وعلى رأسهم محمد الصغير التيجيني، والذي تحصن داخل حصنه بمنطقة عين ماضي، فحاصره الأمير لمدة ستة اشهر قبل أن يستسلم في آخر المطاف، وكان حصار التيجيني قد أخذ من الأمير الوقت والجهد أيضا كان بالامكان توفيرهما لمجابهة الفرنسيين.

ب- نقض معاهدة التافنة:

على إثر انهزام الجنرال كلوزيل بقسنطينة على يد أحمد باي في نوفمبر 1836 وكان ذلك خلال الحصار الفرنسي الأول لقسنطينة، ونظرا لفشله في القضاء على المقاومة تم عزله وتعيين الجنرال دمريمون خلفا له في منصب حاكم عام الجزائر، وتم أيضا تعيين الجنرال بيجو حاكما على وهران خلفا لبروسار.

ونظرا لكثرة المعارك التي جمعت الأمير عبد القادر بالجنرال بيجو وبعد الإجهاد الذي أحس به الطرفان، أدرك كل منهما بأنه في حاجة ماسة إلى أخذ نفس و إلى تهدئة الأجواء للإنصراف لتحقيق بعض الأمور التي كان يخطط لها الطرفان، وأن ذلك لن يتم إلا بامضاء معاهدة بينهما، وقد فكر الأمير في هدنة لأنه كان يطمح إلى تنظيم دولته وجيشه، ومعاقبة القبائل العاصية والمتمردة، فيما كان الجنرال بيجو يحلم بتحقيق هدف فرنسا وما عجز عن تحقيقه بعض القادة الفرنسيين وهو الإطاحة بالمقاومة في الشرق الجزائري وبزعيمها أحمد باي والقضاء عليها نهائيا.

---

[1] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص192-193.

[2] بيير بروجير، نفسه، ص32.

[3] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص186.

وبعد مراسلات عديدة بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو تمت بينهما معاهدة التافنة في ماي 1837[1]، وقد نصت هذه المعاهدة على إعتراف فرنسا بسيادة الأمير على أغلبية البلاد، وهو ما جاء في رسالة بعث بها الأمير عبد القادر إلى العرب، وفي هذا الشأن يذكر أحمد باي في مذكراته، ان الأمير طالب العرب في هذه الرسالة بضرور التخلص منه أي من أحمد باي، والدخول في طاعته في تحذير شديد اللهجة[2].

مكنت معاهدة التافنة الأمير عبد القادر من تنظيم دولته واستعادة تلمسان ومعسكر، كما إرتفع عدد الأقاليم التي أصبحت تابعة له من أربعة اقاليم إلى ثمانية، وفي المجال الصصناعي ركز الامير عبد القادر بعد إمضاء المعاهدة على إنشاء مصانع للأسلحة، كما أصبح جيشه يتلقى تدريبا من الطراز العالي[3]، مما جعل الفرنسيين يعيدون النظر في أمر المعاهدة خوفا من أن تقوى شوكة الأمير وتعظم قوته وتنجح مقاومته، مما قد يجعلهم في ورطة ويصبح تواجدهم في الجزائر مهدد، وراح الفرنسيون يبحثون عن كيفيةٍ تُمكنهم من نقض معاهدة التافنة، خاصة وأنهم قد تخلصوا من مقاومة أحمد باي في الشرق الجزائري، وأنه لم يبق أمامهم سوى الأمير عبد القادر ومقاومته والتي يجب التخلص منها بأية وسيلة. فاخذ الجانب الفرنسي بقيادة الجنرال فلييه يقوم بمحاولات لنقض تلك المعاهدة وهو حسبهم ماسيؤدي حتما إلى نتائج سلبية على مقاومة الامير، هذا الخصم العنيد الذي لا بد من التخلص منه أيضا، لذلك عمد الفرنسيون إلى استفزاز الأمير عبد القادر، الذي رأى أن يراسل الملك الفرنسي لويس فيليب ويخبره بمحاولات الطرف الفرنسي في خرق المعاهدة إلا أن الملك الفرنسي لم يرد على تلك الرسالة.

تواصلت الإستفزازات الفرنسية للأمير عبد القادر فكانت القطرة التي أفاضت الكأس هي مرور الجيش الفرنسي في الأراضي التابعة للأمير عبد القادر دون أخذ تصريح بذلك[4] ،فاجتمع الأمير بقيادته وبالأعيان بحيث تم تقرير إعلان الحرب حفاظا على الكرامة[5]. وبعودة الحرب بدأ الأمير عبد القادر يفقد قوته رويدا رويدا، وبدأت الكفة تُرَجح لصالح الطرف الفرنسي، خاصة وأن فرنسا لم يصبح أمامها

[1] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص181.

[2] محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، رغاية-الجزائر، 1981، ص80.

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص197.

[4] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص228-232.

[5] نفسه، ص236.

إلا مقاومة الامير عبد القادر بعد القضاء على مقاومة أحمد باي في الشرق، وسيؤدي ذلك إلى تركيزها على التخلص من خصم واحد وأخير والذي رغم كونه طرف قوي وعنيد إلا أن فرنسا كانت تملك من القوة ما يمكنها من إضعافه، وهو ما سيتحقق لها حيث بدأت فعلا قوة الأمير في التقهقر شيئا فشيئا إلى أن تم التسليم أواخر سنة 1847.

ج- سقوط الزمالة:

بدأ الأمير عبد القادر يفقد من قوته بعد نقض معاهدة التافنة، وخاصة بعد تولي الجنرال بيجو منصب حاكم عام للجزائر خلال فبراير 1841 خلفا للماريشال فالا، وكان الجنرال بيجو لا يقوم بأية خطوة متعلقة بمحاربة الأمير إلا وكانت تلك الخطوات تتماشى وتخدم المخطط الذي رسمته فرنسا للقضاء على مقاومته، فقد إتبع الجنرال بيجو سياسة الأرض المحروقة، وكان يقوم بإخضاع القبائل عنوة أو إبادتها وحرق أراضيها الزراعية، وتمكن بيجو بذلك من التفوق ميدانيا على الأمير عبد القادر[1]، فسقطت في يده تاكدمت التي كانت بها معامل للأسلحة التي أنشأها الأمير، كما سقطت سعيدة بوغار تازة ومعسكر، الأخيرة التي أخضع بيجو قبائلها بعد أن أتعبها الهروب من مكان إلى آخر بسبب تأييدها للأمير، وتتبع فرنسا لآثارها لإبادتها، فارتأت مكرهة أن تخضع لفرنسا، سيما وأن الأمير عبد القادر لم يكن باستطاعته حمايتها في ظل وجود قبائل خائنة. وتمكن بيجو أيضا من دخول تلمسان سنة 1842[2]. فيما تكفل لامورسيير بدحرجة الأمير نحو الجنوب[3].

وأمام هذا الوضع الذي آلت إليه الأمور وضعف المقاومة، والعنف الذي كانت تمارسه فرنسا ضد القبائل وسقوط العديد من المدن الواحدة تلو الأخرى، أنشأ الأمير عبد القادر عاصمة له كبيرة متنقلة وهي الزمالة، التي رأى فيها الفرنسيون خطرا عليهم، وانه بالإمكان أن تقوى بها شوكته وأن يسترجع بفضلها الأمير كامل قوته وتدور الدائرة عليهم إذا لم يتم القضاء عليها، وفكروا في طرق تجعلهم يتخلصون من الزمالة، وشرعوا في تقديم الكثير من الاغراءات للقبائل وللمناوئين والمعادين للأمير عبد القادر، وفعلا فقد وجدوا ضالتهم في أحد الأشخاص المدعو عمر العيادي الذي أصبح أحد جواسيس أو أحد أعين الفرنسيين، الذي بدأ في ملاحقة الزمالة، إلى أن أكتشف إحدى الأماكن التي حطت رحالها بها وهو منطقة كوجيلة، وكان حينها الأمير عبد القادر بمنطقة سرسو، فأوشى الجاسوس بمكان الزمالة لإبن

[1] بسام العسلي، المرجع السابق، ص138-140.

[2] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص256-263.

[3] بسام العسلي، نفسه، ص141.

الملك الفرنسي الدوق دومال ، والذي كان على رأس رتل عسكري، ليُكتشف بعد ذلك بان الزمالة قد انتقلت إلى منطقة أخرى وهي منطقة طاقين، وفي 15 ماي 1843 تمت مهاجمتها.

ويذكر صاحب تحفة الزائر أن الجنود الفرنسيين كانوا يردتون حين هجومهم على الزمالة اللباس العربي وهو ماجعل القاطنين في الزمالة يعتقدون أنهم فرسان الأمير قد عادوا، مما جعلهم يتوجهون هرعين فرحين نحوهم، ويضيف بأن هذه الفكرة التمويهية كانت من تدبير عمر العيادي ووافق عليها الدوق دومال[1] .

بينما ذكر تشرشل أن الرجال الذين كانوا يرتدون البرانيس الجزائرية والذين كانوا في طليعة الجيش الفرنسي لم يكونوا سوى فرقة الصبايحية[2]. وقد أجهز الجيش الفرنسي في هذا الهجوم المباغت على الزمالة على المئات ممن كانوا في الزمالة، حيث بلغ عدد القتلى ما يربو عن 300 قتيل فيما لم يتعد قتلى الفرنسيين 09 قتلى، كما تمت سرقة مخطوطات كانت ضمن مكتبة الأمير، وقُدِّر عدد المخطوات المسروقة ب 5000 مخطوطا، إضافة الى ما خف وزنه وثقلت قيمته من جواهر وحلي من المعادن النفيسة، وأيضا المواشي، وبلغ عدد الأسرى الجزائريين 4000 أسيرا، منهم أقارب لابن عراش ومحمد بن علال، فيما تمكن خدم عائلة الأمير من إنقاذ أفراد العائلة بعد أن نجحوا في تهريبهم[3].

يعتبر سقوط الزمالة ضربة قاصمة لظهر الأمير عبد القادر ومقاومته، وتعتبر أيضا البداية الحقيقية والفعلية لنهاية مقاومته، حيث فقدت المقاومة كل عناصرها التي من شأنها المساعدة في مواصلة الجهاد ضد المستعمر الفرنسي الذي عرف كيف يضرب هذه المقاومة في الصميم، ولم يهدأ له بال حتى قضى عليها نهائيا.

---

[1] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص279-280.

[2] هنري شارل تشرشل، المصدر السابق، ص215.

[3] بن يوسف تلمساني، سقوط الزمالة عاصمة الأميرعبد القادر المتنقلة وتراجع نفوذه في السهوب الوسطى 1843-1846، دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، مجلة علمية تساهم في تطوير المعرفة في مجال البحث الانساني والاجتماعي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر، ص189.

المطلب الثاني: المقاومة تلفظ آخر الأنفاس والأمير يسلِّم سلاحه لفرنسا:

أ- اللجوء إلى المغرب وتخلي السلطان العثماني عن الأمير:

بعد سقوط الزمالة أصبحت للأمير زمالة صغير تقتصر على دائرته الخاصة، التي لم يتجاوز تعداد من كانوا فيها ال 1000 شخص، واتخذ من الأراضي المغربية قاعدة خلفية له لمواصلة مقاومته ضد الاحتلال الفرنسي، فكان يترك زمالته في التراب المغربي ويدخل إلى التراب الجزائري فيضرب العدو ثم يعود مجددا إلى المغرب[1] ، وكان حينها الأمير يوجه ضربات خاطفة سريعة في إطار حرب الكر والفر أو حرب العصابات كما تسمى، وذلك نظرا لضعفه، وكانت في تلك الفترة العلاقات الفرنسية الإنجليزية متوترة وليست على مايرام[2]، فاستغل الأمير عبد القادر هذا الوضع وأرسل برسالة إلى ملكة إنجلترا يطلب فيها منها تكوين حلف بينهما وهو ما من شأنه إضعاف فرنسا لا محالة، إلا أن ملكة إنجلترا لم ترُد على رسالة الأمير[3]، ولم تكن هذه الملكة وحدها من تجاهلت رسالة الأمير، بل حتى أن السلطان العثماني لم يرُد على رسالة كان قد أرسلها إليه الأمير طالبا منه فيها بتقديم يد المساعدة له حتى يتمكن من مجابهة العدو مبديا إستعداده للإعتراف بسيادة الدولة العثمانية على الجزائر[4].

ب- معركة إيسلي ومحاربة سلطان المغرب للأمير:

لم تقف فرنسا مكتوفة الأيدي أمام ضربات الأمير عبد القادر، التي كان يوجهها إليها من حين إلى آخر، وراح الجنرال بيجو يتحرش بالمغرب طالبا من السلطان المغربي عدم إستقبال الأمير عبد القادر على أراضيه، فلم يستجب السلطان المغربي للجنرال بيجو، ليهاجم الأخير مدينة وجدة المغربية، فكان رد السلطان على هذا الهجوم، بأن أرسل ولي عهده محمد على رأس جيش قوامه 20000 مقاتل[5]، والتقى الجمعان بوادي إيسلي في معركة دارت رحاها في أوت 1844، وقد كانت فيها الغلبة للجيش

---

[1] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص285.

[2] ازدادت حدة التوتر بين فرنسا وانجلترا عقب ما يسمى بحادثة برتشارد تاهيتي سنة 1844، حيث كان ريتشارد قنصلا لانجلترا لدى بوماري ملكة جزيرة تاهيتي ، الا ان الفرنسيون طردوه من تاهيتي وقاموا بضم هذه الجزيرة الى ممتلكاتهم. ينظر: عمر عبد العزيز عمر ومحمد علي القوزي، دراسات في تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر 1815-1950، الطبعة 01، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1999، ص86.

[3] هنري شارل تشرشل، المصدر السابق، ص218-219.

[4] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص285.

[5] نفسه، ص291.

الفرنسي[1]، وكُلِّل هذا الانتصار الفرنسي على الجيش المغربي بإبرام معاهدة طنجة في سبتمبر من السنة ذاتها وهي معاهدة فرضها الفرنسيون على المغرب الأقصى، والتي إشترط فيها بيجو عدة شروط منها مطاردة الجيش الفرنسي للجزائريين داخل الاراضي المغربية، والإحتفاظ بمنطقتي الصويرة ووجدة، كما إعتَبَرت الإتفاقية الأمير عبد القادر خارج عن القانون[2].

وتم أيضا إبرام معاهدة أخرى وهي المعروفة بمعاهدة لالة مغنية وكان ذلك في 18 مارس 1845، والتي تم خلالها رسم الحدود بين كل من الجزائر والمغرب الأقصى[3]. وقد رضخ بعد ذلك سلطان المغرب لأوامر الفرنسيين وطالب الأمير عبد القادر بالخروج من الأراضي المغربية، إلا أن الأمير لم يستمع له ورفض الإنصياع لهذا الطلب، بل أنه دخل في حرب ضد القبائل التي إستجابت للتحريضات المعادية له والتي أطلقها السلطان المغربي ضد الأمير، وتمكن الأخير من القضاء على نحو 700 شخص ينتمون إلى تلك القبائل[4] .

د- تسليم الأمير سلاحه لفرنسا:

بتسليم خليفة الأمير عبد القادر أحمد بن سالم نفسه إلى الفرنسيين في فبراير 1847 بسور الغزلان، إنهارت المنطقة الشرقية، وتمكن بيجو من إخضاع القبائل بهذه المنطقة، وحقق أنتصارات بكل من بسكرة وبالمنطقة التي تتمركز بها قبائل أولاد نايل وغيرهما، وبعد تأكده من أن مقاومة الأمير عبد القادر تلفظ أنفاسها الأخيرة وأنها ستسقط عن قريب طلب بيجو الإعفاء من المنصب والعودة إلى بلاده، وهو ما تحقق له، ليخلفه في المنصب الدوق دومال في 05 اكتوبر 1847[5].

وفي ظل هذه الظروف العصيبة التي كان يمر بها الأمير عبد القادر ومقاومته التي وصلت إلى مرحلة جد متقدمة من الضعف، جهز سلطان المغرب جيشا بقيادة إبن شقيقته هاشم، وتوجه إلى الأمير عبد القادر بالريف، لكن ورغم ضعفه إلا أن الأمير تمكن ورجاله من دحر هاشم وجنده، وقُتل أثناء القتال القائد المغربي بلحمر، فيما تمكن هاشم من الفرار[6]. وبقي السلطان المغربي يمارس التضييق على

---

[1] نفسه، ص291.

[2] بلعربي نور الدين، معركة ايسلي وانعكاساتها على المغرب الأقصى ومقاومة الأمير عبد القادر، حوليات التاريخ والجغرافيا، مجلة تهتم بالدراسات والأبحاث التاريخية والجغرافية، مخبر التاريخ والجغرافيا التطبيقية، المدرسة العليا للأساتذة، العدد 08، ص195.

[3] بلعربي نور الدين، نفسه، ص196-198.

[4] أحمد بن محي الدين، المصدر السابق، ص88.

[5] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص316.

[6] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص239.

القبائل الجزائرية التي لجأت من قبل إلى بلاده هربا من بطش الإحتلال الفرنسي، التي استباح هذا السلطان دمها وعرضها أيضا، ومن هذه القبائل نجد قبيلة بني عامر التي هُتِكت أعراض نسائها، وقُتل أغلبية أهلها لا لشيء إلا لأنها عادت لتدعيم الأمير عبد القادر بعد أن خرجت من دائرته سابقا[1]،

وفي خضم هذه التطورات والأحداث، زار شيخُ قبيلة الأحلاف المغربية الأمير عبد القادر وطلب منه إرسال ممثل عنه إلى السلطان المغربي لتقديم الإعتذار له، فلم يجد الأمير مانعا من ذلك، وأرسل القائد البوحميدي الولهاصي الذي غدر به السلطان وقام بإلقاء القبض عليه وسجنه، ثم سقاه سُمًّا مات البوحميدي متأثِّرا بذلك السُّم، وبوفاة صديقه البوحميدي فقد الأمير واحدا من أخلص رجالاته وشعر بموت رفيقه بوحدة فظيعة[2].

وجد الأمير عبد القادر نفسه يقاتل الجيش الفرنسي من جهة، ويقاتل أيضا الجيش المغربي من جهة أخرى، هذا الجيش الذي يُسيِّره نحوه في كل مرة السلطان المغربي من أجل القضاء عليه، فنرى أن هذا السلطان الذي خان الأمير وغدر به لم يكتف بكل ما ألحقه به، بل أنه جهز جيشا وضع على رأسه إبنيه لمجابهة الأمير وكان ذلك في 10 ديسمبر 1847[3]، لكن فطنة الأمير وحنكته وخبرته في الميدان العسكري مكنته من التفوق على إبني السلطان وهُزما شر هزيمة بفضل دهاء الأمير عبد القادر.

تفاديا لتعرضه لهجمات الجيش المغربي بأوامر من السلطان، أخذ الأمير عبد القادر يتنقل من مكان إلى آخر، إلا أنه في نهاية المطاف إضطر للدخول مع هذا الجيش في معركة على ضفاف نهر الملوية في جو مكفهر شديد البرودة، فدخلت دائرته إلى الأراضي التي كانت تحت النفوذ الفرنسي، أما الأمير وبعد إستشارة رجاله في قضية التسليم، وإثر تركهم الأمر له[4] سلم نفسه للفرنسيين، لكن بعد أن وضع شروطا قبِل بها الجانب الفرنسي، منها سفره إلى عكا أو إلى الاسكندرية[5] مع أهله ومع من يريد مرافقته من رجاله، وعدم التعرض بسوء إلى كل من يفضل منهم البقاء في الجزائر.

إنتقل الأمير إلى المرسى بحيث إلتقى بالجنرالين لامورسيير وكافينياك، و في جلسة جمعت بين الأمير والدوق دومال الذي إستقبل الأمير إستقبالا خاصا تم التأكيد من قبل دومال على أن ما تم الإتفاق

---

[1] يرونو اتيين، المرجع السابق، 230.

[2] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص321.

[3] نفسه.

[4] نفسه، ص323-324.

[5] احمد بن محي الدين، المصدر السابق، ص110.

عليه سيتم تنفيذه، فسلم الأمير سيفه ومسدسه للدوق وأيضا فرسه، وبدوره أهدى دومال للأمير من جهته ساعته وكذلك مسدسه، ثم ركب الأمير عبد القادر ومعه أهله ورجاله ممن فضل الذهاب برفقته و أُسَرِهم، منهم صهره مصطفى بن تهامي وصديقه قدور بن علال[1]، تاركِينَ مُكرهِين بلادهم وأرض أجدادهم الجزائر التي لن يعود إليها الأمير إلا رفاتا عام 1966 ليعاد دفن جثمانه في الجزائر.

هـ– ما ذكرته بعض المصادر والمراجع عن قضية الإستسلام:

يكثر الجدل حول قضية إستسلام الأمير من عدمه، وانقسم المؤرخون والمهتمون بسيرة الأمير عبد القادر إلى مؤيد لنظرية الإستسلام وبين معارض لها، فمصطلح إستسلام وجملة "إستسلام الامير عبد القادر للفرنسيين" هناك من يتحسس منها ولا يحب سماعها، فيما أن هناك من يرى أن الأمير عبدالقادر قد إستسلم ويذكر صراحة مصطلح إستسلام. وسأحاول أن أتطرق إلى بعض الآراء المختلفة حول هذه القضية المثيرة للجدل .

يؤكد القس الفرنسي صديق الأمير عبد القادر دوبوش بأن الامير عبد القادر فعلا قد استسلم، وبأن الأمير في حد ذاته لم يكن يخف ذلك ، حيث أخبره الأمير بأنه بدأ فعلا في التفكير في أمر الإستسلام بداية من سنة1844، نظرا لما آلت إليه الأوضاع، الشيء الذي شكل ضغطا عليه مما جعله يخشي من أنه لن يكون قدر المسؤولية، كما أن ما زاد في تشجيعه على الإستسلام هو إستسلام خليفته أحمد بن سالم[2]. شارل هنري تشرشل الذي كان قريبا من الأمير خلال الفترة التي سمح له فيها الأمير بان يكتب سيرته، حيث أملى عليه الأمير سيرته التي تضمنها كتابه (أي كتاب تشرشل) الذي أكد فيه أيضا بأن الأمير عبد القادر إستسلم فعلا للفرنسيين، اذ أنه في أخر إجتماع له مع رجاله إثر المعركة التي جمعت جيشه بالجيش المغربي أكد الأمير عبد القادر خلال هذا الاجتماع بأن المقاومة قد إنتهت، وأنه لا يمكنه أن يستأنف القتال ضد الفرنسيين لأن ذلك سينجر عنه إبادة للجزائريين، وبأن الإستسلام أمر لا مفر منه مبديا رغبته في الإستسلام للعدو على إستسلامه لمن طعنه في الظهر ويقصد السلطان المغربي[3]. برونو أتيين يتحدث هو الآخر عن إستسلام الأمير عبد القادر، وجاء ما كتبه مطابقا لما كتبه

---

[1] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص325.

[2] معمر حبار، الامير عبد القادر استسلم ولم يكن خائنا حسب القس الفرنسي وظل عظيما [على الخط] الجزائرية للأخبار،صحيفة الكتروني اخبارية مستقلة مختصة في تقديم الخبر وتحليله، متاح على الرابط https://dzayerinfo.com/ar/الأمير-عبد-القادر-استسلم-ولم-يكن-خائنا/، 30 ماي 2020.

[3] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص246.

تشرشل، ويذكر بأن الأمير لم يستسلم للسلطان عبد الرحمن وإنما إستسلم للجنرال لامورسيير لأنه لم يعد يثق بالسلطان المغربي الذي خانه [1].

بسام العسلي العسكري والمهتم بالشؤون الحربية والعسكرية، أشار في كتابه بأن الأمير عبد القادر قد إستسلم بعد أن أظهر رجاله تأييدهم له في أي قرار يتخذه سواء الإستسلام أو مواصلة القتال[2]. بن عودة المزاري في مخطوطه سعد السعود أيضا يذكر بأن الأمير إستسلم للفرنسيين، ويضيف بأنه جاء إلى الغزوات وهو يحمل سيفه بيده دليلا على انه سلم نفسه برغبته[3]. يحي بوعزيز أيضا يذكر أن الأمير سلم نفسه للفرنسيين وأنه قرر فعل ذلك بعد مشاورات مع رجاله[4]، وهو ما ذهب اليه كذلك نزار أباظة الذي يقول بأن الأمير سلم نفسه بعد إستشارته لرجاله، كونه وجد نفسه محاصرا من الغرب بقوات الجيش المغربي ومن الشرق بقوات الجيش الفرنسي[5]. شقيق الأمير أحمد بن محي الدين يذكر في كتابه أن رأي الأمير إستقر على أن يسلم نفسه للفرنسيين المعروف عنهم عدم الإساءة لأصحاب الشأن العالي وللشخصيات الكبيرة[6].

وهناك من يتكلم عن "تسليم" و ربما يقصدون أيضا الاستسلام، أي أن الأمير قام بتسليم نفسه وسلاحه للفرنسيين، ونجد هذا المصطلح مذكور في تحفة الزائر لإبن الأمير محمد باشا [7]، المصطلح ذاته نجده يتكرر لأكثر من مرة في كتاب ناصر الدين سعيدوني[8].

كما يرى أحفاد الأمير ومنهم طارق بن أنيس بن مصطفى بن الهاشمي بن عبد القادر، أن المستعمر الفرنسي هو من أراد تشويه صورة وسيرة الأمير ولذلك قال عنه أنه إستسلم لها، مبديا تحسره وتأسفه لأن هذا ما تم تدريس في المؤسسات التربوية أيضا في الجزائر[9]، كما نجد حفيدة الأمير كذلك

---

[1] برونو اتيين، المرجع السابق، ص233.

[2] بسام العسلي، المرجع السابق، ص151.

[3] بن عودة المزاري، المرجع السابق، ص250.

[4] يحي بوعزيز المرجع السابق، ص66.

[5] نزار اباظة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر المعاصر، بيروت–لبنان، ص12.

[6] احمد بن محي الدين، المصدر السابق، ص109.

[7] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص324.

[8] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق،ص109.

[9] طارق بن أنيس، ندوة الخبر [على الخط] أدار الندوة محمد علال، الخبر، يومية اخبارية، متاح على الرابط https://www.elkhabar.com/press/article/32463/، 24 مارس 2014.

بديعة الحسني الجزائري تنفي نفيا قاطعا إستسلام الأمير للفرنسيين وتقول بأن الأمير لم يستسلم بل طلب الهجرة، وأن هناك فرق بين الإستسلام الذي اعتبرته خيانة في كل الأحوال وبين الهجرة إقتداء بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن في هذه النقطة هناك من يطرح علامات إستفهام لأن الرسول عليه الصلاة والسلام هاجر سرا، وعليه وجب على بديعة الحسني إعطاء أدلة حتى ينتهي هذا الجدل القائم بين المؤرخين، وليس بينهم فحسب بل حتى بين عامة الناس في الجزائر بخاصة وأيضا خارجها، لأن ما يُعرف لدى العام والخاص هو أن الامير سلم نفسه للفرنسيين ولذا فلابد ان تُخرج عائلة الأمير ما لديها من وثائق وبراهين وأدلة مادية ومنطقية لتميط بها الغموض الذي يكتنف الحادثة.

ومهما قيل عن الموضوع إلا أنني ونظرا لعدم إطلاعي بعمق كبير على الموضوع لا يمكنني أن أبدي رأيا في هذه المسألة، لأن الأمور ليست واضحة أمامي بما يكفي لابداء الرأي وليست بحوزتي أدلة وحجج تمكنني من الخوض في الموضوع، إلا أن ما يجب أن يشار إليه هو أن الأمير عبد القادر إستسلم أم لم يستسلم فإن قيمته كبطل جزائري، ظل يقاوم الأحتلال لسبع عشرة سنة وضحى طيلة تلك الفترة بالغالي والنفيس في سبيل الله والوطن تبقى عالية، ويبقى رمز من رموزنا الخالدة، ولا يمكننا إلا أن نقف إجلالا له عندما تُذكر سيرته.

الفصل الثاني : تحويله إلى فرنسا واستقراره بالشام بعد إطلاق سراحه.

- المبحث الأول : نقله إلى فرنسا ومعاناته في السجون الفرنسية.
- المبحث الثاني: أمبواز المحطة الأخيرة في أسر الامير.
- المبحث الثالث: فك أسر الأمير وسفره إلى بورصة ثم استقراره بدمشق.

الفصل الثاني : تحويله إلى فرنسا وإستقراره بالشام بعد اطلاق سراحه:

المبحث الأول : نقله إلى فرنسا ومعاناته في السجون الفرنسية:

المطلب الأول: فرنسا تنكث العهد وتخطف الأمير:

أ– فرنسا تنكث العهد:

نقلت البارجة الحربية التي كان على متنها الأمير وأهله ومقربيه، وكذا المترجم الفرنسي روسو و العقيد لورو، نقلت هؤلاء الراكبين إلى ميناء طولون[1] الفرنسي، حيث أخبر المترجم الأمير أنه سيتم التوقف بهذا الميناء قبل المغادرة إلى الإسكندرية، و كان ذلك في 24 محرم 1264 هـ الموافق ل 01 جانفي 1848م[2]، و الملاحظ أن هناك إختلاف فيما يتصل بهذا التاريخ، بين ما جاء في مذكرات الأمير عبد القاد[3] التي يشير كاتبها إلى أن تاريخ الوصول إلى هذا الميناء هو 22 محرم 1264هـ[4]، فيما تذكر بديعة الحسني الجزائري أن تارخ الوصول كان في 24 ديسمبر1848م[5]، وإن اقترب التاريخان الأول والثاني، فإن التاريخ الذي ذكرته بديعة الحسني الجزائري بعيد كل البعد عن التاريخ الحقيقي أو القريب منه، وقد يكون الخطأ مطبعيا أو جاء سهوا من الكاتبة.

إثر رسو البارجة "لاسمودي" في هذا الميناء، تم استقبال الأمير عبد القادر و من معه بحفاوة كبيرة من قبل المسؤولين الفرنسيين الذين اهتموا بهم إهتماما بالغا، وقدموا لهم ملابس فاخرة، ناهيك عن إطعامهم بما لذ وبما طاب من الطعام[6]، لتظهر بعد ذلك النية الحقيقية والمبيتة من قبل الفرنسيين ضد الأمير عبد القادر، حيث تم إقتياده ومن معه إلى حصن لامالق Lamalgue، مُعلِمين إياه بأنهم في

---

[1] تقع مدينة و ميناء طولون العسكري في الجنوب الشرقي من الساحل الفرنسي، و يتميز الميناء بالأرصفة الممتازة التي تمكنه من استقبال السفن الضخمة، وتقع فيها ثاني اكبر القواعد البحرية الفرنسية، كما تشتهر بسوق السمك الذي يعود الى القرن السادس عشر الميلادي، كما تعتبر صناعة السفن وانتاج الكيميائيات و الآلات الكهربائية اشهر الصناعات الموجودة بها. ينظر: حسام الدين ابراهيم عثمان، موسوعة المدن والعالم، دار العلوم للنشر والتوزيع، ص133.

[2] محمد بن عبد القادر، تحفة الزائرالسيرة القلمية، الجزء 02، ص 4-5.

[3] في محادثة مع حفيد الأمير عبد القادر، جعفر الحسني الجزائري، أكد لي أن الامير لم يكتب مذكراته، وأن صهره مصطفى التهامي لم يكتب بدوره مذكرات الأمير، وان الأحداث الحقيقية التي عاشها الأمير عبد القادر موجودة في كتاب تحفة الزائر لابنه محمد باشا وأيضا في كتاب نخبة ما تسر به النواظر لشقيقه العلامة الشيخ أحمد بن محي الدين.

[4] عبد القادر بن محي الدين، المصدر السابق، ص192.

[5] بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص182.

[6] عبدالقادر بن محي الدين، نفسه، ص192.

إنتظار الرد التركي على طلب السماح بنقله إلى عكا أو الرد المصري للسماح بدخول الاسكندرية والإستقرار بإحداهما[1]، وهو الجواب الذي جعل الأمير عبد القادر يشك في أن هناك نية مبيتة من قبل الفرنسيين، سيما و أن من أمر باحتجازه و من معه هو وزير الحربية آنذاك، الجنرال تريزيل الذي هزمه الأمير عبد القادر شر هزيمة في معركة المقطع وهو ما لم ينساه له هذا الجنرال[2].

لدى اقتياد الأمير ومرافقيه إلى الحصن أو السجن تمت تفرقتهم عن بعضهم البعض، جزء بقي بحصن لاملق وعلى رأسهم الأمير، وجزء حولته السلطات الفرنسية إلى حصن مالبوسكة[3]، وهو ما زاد من الإحساس بالقهر لدى الأسرى الذين كانت تربطهم ببعضهم علاقة قرابة وصداقة[4].و يشير حفيد الأمير عبد القادر جعفر الحسني الجزائري أن الأمير عبد القادر بهذه الفعلة الفرنسية والتي كانت بمثابة أول محنة يمر بها الأمير ويتعلم منها أن الملوك يخونون العهود، فيما أنه من المعروف أن الملوك مهما كانت دياناتهم يوفون بالوعود[5]، و لا أظن أن الأمير قد تفاجأ الى درجة كبيرة من هذا الموقف الفرنسي، لأنه سبق وأن تعرض إلى مواقف حيث نقضت خلالها فرنسا وعودها وأخلفتها معه وخدعته، مثل ما حدث مع معاهد ديميشال ومعاهدة التافنة، ولذا فان الأمير المعروف بفراسته وحنكته وذكائه الذي لم يخنه يوما، كان يضع حسب إعتقادي في الحسبان أن الفرنسيين ربما قد يغدرون به، كما فعلوا سابقا، أي بمعنى أن الأمير لديه تجارب سابقة مع خيانة المواثيق والوعود من قبل الفرنسيين وعلى رأسهم الملك ولذلك ربما لم يصدم صدمة عظيمة بهذه الخيانة الفرنسية.

ب- دوافع نقض الوعد وأسر الأمير:

مهما تكن هناك من مبررات تدفع بالحكام إلى نقض وعودهم فهو أمر غير مقبول منهم نهائيا، بالنظر إلى مناصبهم و مكانتهم الإجتماعية، وكذا بالنظر إلى العلاقات التي تربطهم مع الدول الأخرى، خاصة وأن كان الأمر يتعلق بحاكم أو ملك دولة عرفت خلال سنة 1789م ثورة تأثرت بها معظم دول العالم آنذاك، والتي من بين ما نادت إليه هو إحترام حقوق الإنسان، فما بالك إن كان هذا

---

[1] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص251.

[2] الأمير عبد القادر في الأسر، بقبق الزهرة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، الصم منور، معهد التاريخ، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران السانية، 2009-2010، ص71.

[3] برونو اتيين، المرجع السابق، ص246.

[4] عبد القادر بن محي الدين، المصدر السابق، ص193.

[5] جعفر الحسني الجزائري، الأمير عبد القادر [على الخط] وثائقي لأكرم عدواني، قناة الجزيرة الوثائقية، 2012، متاح على الرابط https://www.youtube.com/watch?v=IK_wSPYUulY ، 21اكتوبر2016.

الإنسان بحجم وقيمة الأمير عبد القادر، الذي حتى في حربه مع العدو لم يخن وعدا و لم يظلم أسيرا فرنسيا قط، بل بالعكس فقد شهد له العدو قبل الصديق بأنه كان رحيما مع الأسرى الفرنسيين، حتى أنه في سنة 1943 أصدر مرسوما يحدد لأفراد جيشه كيفية التعامل مع أسرى الإستعمار، وهو المرسوم الذي يتضمن أنسنة الحرب ومعاملة الأسرى معاملة إنسانية، حيث حافظ جنده على إحترام كرامة الإنسان الأسير،في حالة الانتصار أو حتى في الهزيمة، وتحاشى قطع رؤوس الأسرى وآذانهم، بالرغم من أن العدو كان يتعامل بشناعة و فظاعة مع الجزائريين أينما ثَقِفهم[1].

تشير بديعة الحسني الجزائري، إلى أن الأمير عبد القادر إعتذر منه الملك عن عدم تطبيق الشروط التي كانت ضمن الإتفاق بين الأمير والفرنسيين قبل مغادرته الجزائر والإبقاء عليه ومن معه في فرنسا، متحججا بأن تلك الشروط رُفِضت رفضا قاطعا من طرف جهات وصفها بالعليا بفرنسا. كما أخبره العقيد دوماس[2] أن الملك يعرض عليه مقابل ذلك أراضي و مزارع وقصور للعيش فيها مع أهله وباقي مرافقيه عيشة مترفين، إلا أن الأمير رفض ذلك[3].

وفي سياق الحديث عن الدوافع التي جعلت ملك فرنسا يخون الميثاق، يذكر صاحب كتاب المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر، انه عقب إستسلام الأمير عبد القادر والموافقة على

---

[1] محمد مرايمي، الاسلام كمرجعية لحماية حقوق أسرى الحرب، اسهام الامير عبد القادرالجزائري في تطوير القانون الدولي الانساني، الانساني، مجلة تهتم بفتح نقاش حول القضايا السياسية والاجتماعية من منظور حقوقي انساني سيما في المنطقة العربية و تقديم منبر لضحايا النزاعات المسلحة و الكوارث لعرض قضاياهم، مجلة فصلية، المركز الاقليمي للاعلام باللجنة الدولية للصليب الاحمر في القاهرة، العدد 66، خريف/شتاء 2019، ص30.

[2] ملشيور جوزيف اوجين دوماس Melchior Joseph Eugène Daumas ولد بمنطقة ديليمو Delémont بسويسرا سنة 1808، والده ماري غيوم دوماس ووالدته تريز بابيه ابنة مستشار اسقف بول، التحق دوماس بالجيش سنة 1822، و عين ملازما سنة 1827،انضم الى مدرسة الفرسان بسومور، و في سنة 1935 جاء إلى الجزائر بأمر من الماريشال كلوزيل، اين شارك في حملات عسكرية بكل من تلمسان و معسكر، و من سنة 1937 الى 1939 اقام قنصلا بمعسكر، و يذكر انه كان يجيد اللغة العربية، ثم كلفه الجنرال لامورسيير بادارة الشؤون العربية باقليم وهران، كما كلفه الماريشال بوجو بالشؤون الاهلية لجميع الجزائريين، اعاد ادارة المكاتب العربية بعد القبضعلى الامير عبد القادر في ديسمبر1847، و تم ارساله الى حصن لاملق ليكون قرب الامير عبد القادر، في 1850 عين مديرا للشؤون الجزائرية بوزارة الحرب ، في سنة 1953تمت ترقيته الى رتبة لواء، ثم ترقيته الى درجة سيناتور الامبراطورية الثانية في 12 اوت 1857، توفي في 29 افريل 1871 عن عمر ناز 67 عاما. ينظر WIKIPEDIA, en ligne, L'encyclopédie libre, Eugène Daumas, disponible sur le lien suivant: https://fr.wikipedia.org/wiki/Eugène_Daumas.

[3] بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص182-183.

شروطه، ومنها الذهاب للإستقرار بعكا أو بالإسكندرية، أعلن ممثلو الشعب في البرلمان الفرنسي أن الأمير عبد القادر سيتضاعف خطره إذا استقر بإحدى المدينتين[1]، وكان على رأس هؤلاء البرلمانيين الفونس دو لامارتين[2]، و الغريب في أمر الأخير انه كان يكافح ضد العنصرية ويرافع لصالح الفقراء و يدافع عن حقوق الإنسان، وكان من المنادين بإلغاء قانون الرق، لكن في حالة الأمير عبد القادر ألغى مبادئه، وقد كان دولا مارتين يضغط على الملك لويس فيليب لأنه كان ضد حكمه الملكي المطلق.

أما إبنه محمد في كتابه تحفة الزائر فيتطرق إلى بعض الأحداث التي قد يفهم منها أن ملك الفرنسيين لويس فيليب لم يكن ضد توجهه إلى عكا أو الإسكندرية، حيث يشير إلى رسالة أرسلها الأمير عبد القادر إلى الدوق دومال إبن الملك، يشتكي له فيها من عدم وفاء دولته التي سلم لها نفسه بالعهد وغدرها به، وأن ما فعلته عار وأنه بعيد عن المروءة، مؤكدا فيها أنه لو كان يعلم بما كانت تضمره له فرنسا وأن مصيره سيكون الحجز، لواصل القتال في الجزائر ضد فرنسا إلى غاية آخر نبض في عروقه، ليرد عليه الدوق في خطاب يطمئنه فيه، ثم يذكر له فيه أن أعضاء مجلس الأمة الفرنسي جرى بينهم خلاف حول قضية الأمير، وأن بعضهم لم يعترف بالوعد الذي قطعته فرنسا وموافقتها على شروطه وأنه لا عهد للأمير عندهم.

وفي الإطار ذاته يذكر صاحب تحفة الزائر، أنه في جلسة مجلس الأمة المنعقدة شهر فبراير سنة 1848 أكد مسؤولو الدولة الفرنسية أنهم في إتصال مع محمد علي باشا وأنهم ينتظرون منه ضمانات لإستقبال الأمير عنده وإستقراره في الإسكندرية، وهو الأمر الذي إستبشر به الأمير خيرا، لكن محمد علي رد على الطلب الفرنسي بعدم قبوله بإستقرار الأمير في بلاده[3]، وهو الأمر الذي مثل دافعا أو حجة لفرنسا للإبقاء عليه محتجزا في سجونها. وقد يفهم من خلال ما تقدم، أنه كانت هناك شريحة من الشعب الفرنسي أيضا لم تكن موافقة على إطلاق سراح الأمير والسماح له بمغادرة الأراضي الفرنسية

---

[1] أحمد كمال الجزار، المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر و السادة الأولياء الأكابر، مراجعة و تقديم محمد زكي إبراهيم، الطبعة الأولى، مطبعة العمرانية للاوفست، الجيزة- مصر، 1417هـ/1997م، ص36.

[2] اديب وشاعر وسياسي فرنسي تربى في قصر ميلي، كان نائبا في البرلمان و كانت خطاباته في البرلمان جذابة ، و مع انه كان من الطبقة النبيلة الا انه كان يدافع عن حقوق الفقراء من الشعب الفرنسي، كما كان احد قادة الثورة الشعبية الفرنسية عام 1848، و عين وزيرا للخارجية في الحكومة المؤقتة. بعد اعتلاء نابليون الثالث سدة الحكم اعتزل المجال السياسي نهائيا. ينظر: رباب محمد، كتابه الاول جعله في طليعة شعراء عصره دولامارتين في الشرق،البيان [على الخط] موقع الكتروني تابع لصحيفة البيان اليومية الاماراتية، 24جويلية2010، متوفر على الرابط https://www.albayan.ae/paths/books/2010-07-24-1.267969.

[3] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، الجزء02، ص 6-8.

بحيث هو مراقب ولا يمكن أن يشكل أي خطر، إذ أنهم كانوا يخشون من عودته إلى الجزائر حالة الوفاء بالوعد الذي قطعته له فرنسا، وبالتالي الرجوع إلى حمل السلاح وخوض المعارك ضد الجيش الفرنسي. وربما كل هذه الظروف إضافة إلى حالة سخط الشعب الفرنسي على النظام القائم والملك وكذا حالة الارتباك والغليان الذي عرفته فرنسا آنذاك كلها ربما كونت وشكلت عوامل ضغط حالت دون موافقة الملك على إطلاق سراح الأمير إن كانت فعلا حينها لديه نية في الوفاء بالوعد.

وأعود إلى جملة جاءت في كتاب محمد إبن الأمير عبد القادر وقد تمت الإشارة إليها آنفا، و هي الجملة التي وردت في رسالة الأمير إلى الدوق دومال والتي أكد فيها الأمير، انه لو كان على علم بان مصيره سيكون الإحتجاز بعد نكث فرنسا للعهد، لما سلم نفسه ولواصل الجهاد، هذه الجملة حسب رأيي لا يمكن أن تصدر عن الأمير عبد القادر، لأن من بين الأسباب التي جعلته يسلم نفسه هو حقن دماء الجزائريين، و ما دام الأمير قد كانت لديه هذه النية أوالقناعة، فلا أظن انه يحيد عنها مهما حدث له، و هو صاحب كلمة وصاحب مبدأ لا يغيره لأي سبب من الأسباب، وإن ثبت فعلا انه كتب تلك الجملة فإن ذلك قد يعود إلى غضبه وإلى حالة اليأس التي ربما يكون قد شعر بها فقط، وليس لعدم إكتراثه بمصير شعبه أوأنه يغير من مواقفه لأنها ليست نابعة من أعماقه، وليس تغييرا لمبدإٍ وليس ندما على خطوة إتخذها عن قناعة، لأن مبادئ الأمير كانت دائما، ما وقر في قلبه وصدقه عمله.

المطلب الثاني: معاناة الأمير في السجون الفرنسية:

لم تكن إقامة الأمير عبد القادر في فرنسا في إقامات فاخرة أوحتى في أماكن تليق بالعيش بكرامة وبإنسانية، ولم تكن أموره يسيرة كما قد يتخيله البعض، بل أن معيشته ومن معه كانت معيشة قاسية ومعيشة ضنكا، تجرع خلالها وكذلك كل من كان معه المرارة، حيث أذاقتهم فرنسا طعم الهوان إنتقاما من الأمير الذي قاومهم في الجزائر بشراسة وبشجاعة قل نظيرها، وهو ما يعبر عن وحشية فرنسا و نذالتها المفرطة.

أ- إحتجاز الأمير في حصن لامالق:

بعد وصول الأمير عبد القادر إلى طولون، و احتجازه بحصن لاملق، بحيث كانت ظروف الإقامة أقل ما يقال عنها أنها مزرية، جاءه إلى مكان إحتجازه مسؤولون فرنسيون، قصد إستجوابه حول محاربته لفرنسا والمعارك التي قادها ضدها وحول قتل جندهم ممن كانوا أسرى لديه، فأجابهم أنهم معتدون على بلاده وأنه وجب عليه محاربتهم، أما فيما يتصل بقضية القضاء على الأسرى، فقد أجابهم بأنه لم

يكن حاضرا عندما تم قتلهم، و لم يكن هو من أعطى الأمر بقتلهم، لأن غيره هو من أمر بذلك في غيابه، وأكد خلال إستجوابه انه ضد قتل الأسرى وانه كان يطالب أفراد جيشه بمعاملتهم بالحسنى[1]. و الذي يُفهم من خلال إستجواب الأمير، هو ان فرنسا كانت تبحث عن أي دليل لإدانة الأمير عبد القادر، وإثبات التهمة ضده بأنه خارج عن القانون، و بالتالي تكون بيدها حجة لسجنه وربما حتى لإعدامه.

و جدير بالذكر أن لويس فيليب عين العقيد دوماس، ليكون إلى جانب الأمير، سيما و أنه يتقن اللغة العربية في حين أن الأمير لا يتقن اللغة الفرنسية، و قد سبقت الإشارة إلى أن دوماس اخبر الأمير باقتراح الملك، والمتمثل في التنازل على شروطه التي قبلت بها فرنسا سابقا من خلال الدوق دومال و الجنرال لامورسيار، مقابل عيشه معيشة الأمراء وتوفير الخدم والحشم وحياة مترفة له ولأهله ومعارفه، إلا أن الأمير رفض ذلك وبشدة، وأكد لدوماس أنه لو قدمت له فرنسا الأموال الكثيرة والألماس فإنه سيرمي بها في البحر، على أن يتنازل رسميا على شروطه[2]. وحسب إبن الأمير محمد فإن دوماس كُلّف بمهمة إقناع الأمير بالبقاء في فرنسا وبالتنازل رسميا على الإتفاق الذي أُبرم بينه وبين الطرف الفرنسي[3]عند تسليمه. وكانت السلطات الفرنسية قد خصصت للأمير ومن معه قبوا إحتجزتهم بداخله، فعانى المحتجزون معاناة شديدة في تلك الظروف المادية والنفسية القاسية، وانقلبت حياتهم رأسا على عقب، حيث أصبح رجال الأمير يقومون بأعمال منزلية يومية، فاسودت الدنيا بين عيونهم و منهم من فكر حتى في الإقدام على قتل نفسه أو في القيام بمحاولات للقضاء على الحراس[4].

كانت ظروف إقامة الأمير ومن معه كارثية ، سيما وأن الفصل حينها كان فصل شتاء وكان وقتها البرد شديد لم يتعود عليه المحتجزون في بلادهم، إضافة إلى ارتفاع نسبة الرطوبة التي كانت عالية جدا، ولذا فقد بدأ الموت يحصد الأرواح في صفوفهم[5] دون أن يفرق بين صغير أو كبير. ويصف تشرشل الأمير عبد القادر و هو محتجز في لاملق بالصبور رغم الشدائد التي كان يمر بها حينها، كما كان يتصف بالإيثار حيث كان يتقاسم كل ما لديه مع من كانوا معه، وأصبحت حاجياته ليست ملكه وحده بل

[1] احمد بن محي الدين، المصدر السابق، ص110-111.

[2] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص252.

[3] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص6.

[4] بقبق الزهرة، المرجع السابق، ص76-77.

[5] الجزيرة الوثائقية، نفسه.

أضحت ملكا للجميع، كما يروي الكاتب ذاته موقفا للأمير عبد القادر في سجنه بهذا الحصن المقرف، إذ وجده العقيد دوماس في إحدى الأيام الشديدة البرودة بدون تدفئة، وأكد الامير يومها لدوماس انه لا يمكنه أن يطلب من رجاله إعطائه الحطب، لأنه يشعر بالمسؤولية اتجاههم مبديا تألمه الشديد لحالهم[1].

***الإطاحة بالملك لويس فيليب واعلان الجمهورية الثانية 1848:**

منذ إعتلائه للعرش الفرنسي إثر ثورة أطاحت بعائلة البوربون وسقوط الملك شارل العاشر في جويلية 1830، تعرض الملك الجديد لويس فيليب إلى إنتقادات ومعارضة شديدة من قبل تيارات سياسية مختلفة، ومن فئات من الشعب الفرنسي، خاصة وأن الاجتماع الذي أُعلن خلاله لويس فيليب ملكا، هو إجتماع لأعضاء مجلس النواب المحل، والذي كان الملك المطاح به قد حله أيام حكمه، و لذا فقد إعتُبر أن الإجتماع لم يكن شرعيا، زيادة على ذلك فإن أقل من نصف أعضاء المجلس هم فقط من صوتوا لفائدة الملك الجديد[2]. كما كان هناك مناصرون لأسرة آل البوربون، حيث أيدهم الإكليروس أوالكنيسة نظرا للتقارب الذي كان بين الطرفين، وأيضا أيدتهم فئة من الشعب سيما من القاطنين بالقرى، كما لقي لويس فيليب أيضا معارضة من الجمهوريين الذين أحسوا بأنهم خدعوا، نظرا للطريقة التي تم بها الإعلان عن الملك الجديد، والذين كان على رأسهم كتاب وشعراء، و من أبرز تلك القامات الفكرية و الأدبية نجد لامارتين الذي كانت له قدرة كبيرة على تأجيج الحماسة في الناس بخطبه الحماسية[3]، وما زاد في متاعب الملك هو الإنشقاق الذي حدث في صفوف حزبه حزب الملكيين الدستوريين.

و ساهمت السياسة التي انتهجها لويس فيليب في تعالي الأصوات المعارضة لحكمه ، خاصة بعد أن جعل الدخول إلى الحرس الأهلي من حق الفئات التي تدفع الضرائب وهو ما حرك الفئات الهشة والفقيرة ضده. إضافة إلى هذا فقد حن الناس في فرنسا إلى الأمجاد التي صنعها نابليون بونابرت، فظهرت البونابرتية وأيضا الإشتراكية التي طالب أنصارها بوجوب التفاهم بين أرباب العمل وعمالهم، وهي كلها تيارات كانت ضد سياسة الملك لويس فيليب.

---

[1] شارل هنري تشرشل، نفسه، ص252-253.

[2] عمر عبد العزيز عمر و محمد علي القوزي، دراسات في تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر 1875- 1950، الطبعة الاولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1999، ص80.

[3] آمال السبكي، أوروبا في القرن التاسع عشر فرنسا في مائة عام، الطبعة الاولى، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة-المملكة العربية السعودية،1405هـ/1985م.ص295.

إن ما زاد من حدة التململ هو الأزمات والمشاكل التي كانت تعاني منها فرنسا وشعبها، وعلى الخصوص المشاكل الإجتماعية التي تمثل في أغلب الأوقات السبب الرئيس في إشتعال الثورات[1]، فاهتدت المعارضة إلى تنظيم ندوات تجتمع فيها الجموع الغفيرة من مختلف فئات الشعب الفرنسي، و كان منشطو هذه الندوات يؤكدون خلال تدخلاتهم على ضرور تغيير الملك من سياسته، وتحقيق المساواة بين مختلف طبقات الشعب، وعدم تفضيل الطبقة البرجوازية على حساب الفئات الفقيرة، وتوسعت رقعة هذه الندوات في باريس، فكان المتدخلون يؤكدون على ضرورة التعجيل بالقيام بالإصلاحات[2]، مطالبين بإقالة رئيس الوزراء المؤرخ فرانسوا جيزو، فلم تمتثل الحكومة لصوت الشعب، الذي خرج في مظاهرات عارمة خاصة فئة العمال الذين قاموا بأعمال شغب وأقامو المتاريس في شوارع باريس، وشكلت هذه المظاهرات العارمة والقوية والعنيفة أيضا ورقة ضغط على الملك الذي قرر أخيرا التنازل عن الحكم لحفيده[3]، وكان ذلك في 24 فبراير 1848.

ب- نقل الأمير من برج طولون إلى قلعة بو:

كان الأمير عبد القادر لا يزال محتجزا في حصن لاملق عندما جاءه خبر سقوط الملك لويس فيليب والإعلان عن قيام الجمهورية الثانية، وصله الخبر في 28 فبراير1848، فعلم حينها أن مصيره أصبح أكثر تعقيدا من ذي قبل، بحكم أن النظام تغير والحكومة أيضا، والأخيرة ليست المسؤولة عن الإتفاق الذي كان بينه وبين الدوق دومال والجنرال لامورسيار وفي عهد الملك السابق والحكومة السابقة أيضا، وليس بإمكانه مواجهتها بالوعود التي تم قطعها معه وضرورة الوفاء بها فخاب أمله في الإفراج عنه[4]. وفعلا فقد أساءت الحكومة الجديدة معاملة الأمير عبد القادر، فقد تعرض إلى معاملة سيئة عند نقله من لاملق إلى برج طولون، خوفا من أن يقوم مناصرو الملكية باللعب بورقة الأمير، بإستغلال تواجده في الحجز وتهريبه إلى الجزائرإنتقاما من الجمهوريين، وأمام هذه التصرفات السيئة لم يكن الأمير

[1] عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر اوروبا من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية، الطبعة جديدة، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، 1435هـ/2014م، ص204-209.

[2] أمال السبكي، المرجع السابق، ص296-297.

[3] زينب عصمت راشد، تاريخ اوروبا الحديث في القرن التاسع عشر، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، ص303.

[4] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص253.

يبد إلا الصبرعلى ما أصابه، و كظم غيظه من تلك المعاملة الفضة الوحشية التي كان يلقاها ومن معه من قبل الفرنسيين[1] في ظل الحكم الجديد.

و في عهد الحكومة المؤقتة، زار وكيلها العام اوليفيي الأمير، وقد ذكر كاتب مذكرات الأمير عبد القادر أن هذه الزيارة كانت على هامش زيارة عمل قام بها هذا المبعوث إلى الأرياف والقرى التي وقف فيها على مدى عدم معارضة سكانها للسلطة الجديدة[2]. وخلال جلسة جمعتهما كشف مبعوث الحكومة للأمير أن الحكومة ليست ضد ذهابه إلى إحدى المناطق التي يريد الذهاب إليها وإنما ما تخشاه هو عودته إلى الجزائر، لكن الأمير أكد له بأنه إذا أعطى عهدا لا يخلفه وأنه قد أعطى هذا الوعد عند التسليم وأنه هوالضمان، وقد طلب إثر ذلك أوليفيي من الأمير أن يكتب برسالة إلى الحكومة تشير إلى إستعداده ورجاله الذين كانوا معه الإمضاء على وثيقة بعدم الرجوع إلى الجزائر، وفعلا فقد كتب الأمير الرسالة و ألحق بها وثيقة وعد بعدم الرجوع إلى بلاده ختمها بتوقيعه، لترد عليه الحكومة برسالة تشير فيها إلى رفضها إطلاق سرحه، وأنه بالنسبة لها أسير كما تركته عليه حكومة أوزييه[3]، وشكل هذا الجواب ضربة موجعة للأمير وما زاده ألما هو إلحاق إخوته حسين ومصطفى ومحمد السعيد به، بعدما أمر الحاكم العام للجزائر بإرسالهم إلى طولون.

وفي خضم هذه الأحداث والظروف تقرر نقل بعض من رجال الأمير إلى جزيرة سانت مارغريت، بينما تم نقل الأمير عبد القادر إلى قلعة بو في 21 أفريل 1848[4] وقد تم نقله بعد أن أبى ذلك وثار ضد أصحاب القرار الذي جعله يستشيط غضبا مبديا امتعاضه الشديد من القرار، معلنا لهم بغضب شديد بأنه لن ينتقل إلى بو، الا أنه وبعد تدخل دوماس إستجاب الأمير وخرج نحو بو مرفوقا ب 67 فردا ممن كانوا معه إضافة إلى دوماس و لورو[5] .

لم يُقِم الأمير في بو طويلا نظرا للظروف التي خلفتها ثورة فبراير1848 وتنازل الملك لويس فيليب عن العرش، وأيضا نظرا لخوف الفرنسيين من أن يتم تهريب الأمير ومن معه من طرف جزائريين أو من طرف الإسبان نظرا لقرب بو من إسبانيا ، أو حتى من قبل العملاء الإنجليز، وفي هذا السياق

[1] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ج2، ص9.

[2] عبد القادر بن محي الدين، مذكرات الأمير عبد القادر، ص296.

[3] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص253-256.

[4] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص11-12.

[5] برونو اتيين، المرجع السابق، ص253.

لا بأس من الوقوف بإيجاز على العلاقة التي ربطت بين الأمير والاسبان و بينه وبين الإنجليز، إذ يشير يحي بوعزيز إلى أن الأمير خلال عام 1847 كانت له إتصالات بالملكة الإسبانية من خلال حكامها في الميلية الذين زودوه بالمؤونة ، أما الإنجليز فقد قاموا بتزويده بحرا بواسطة سفنهم بالأسلحة مما مكنه من مجابهة سلطان المغرب، مضيفا أن الرسائل التي كانت بين الأمير و السلطات الإسبانية ورغم أنه هناك من حذر من هذه الرسائل من الاسبان، إلا أن العديد من المسؤولين رحبوا بها لأنها لصالح بلادهم[1].

يشير يحي بلعسكري فيما يتصل بخشية الفرنسيين من الإسبان و الجزائريين والإنجليز، الذين زعمت فرنسا أنهم قد يتمكنوا من تهريب الأمير من قلعة بو وهي قلعة قريبة من الحدود الإسبانية، أنه بالفعل كان هناك جنود إسبان كانوا يحاربون ضمن صفوف الجيش الفرنسي في الجزائر وفروا منه، ثم إلتحقوا بجيش الأمير عبد القادر وحاربوا في صفوفه ضد الجيش الفرنسي، و أن مساعدة هؤلاء للأمير على الهروب من سجنه بقلعة بو أمر كان مستبعدا ولم يكن إلا في ذهنية الفرنسيين فقط سيما وأن الأمير كان قد تعهد بعدم محاربة الفرنسيين عند تسليمه لسلاحه[2].

وجدير بالإشارة أن الأمير عند تحويله إلى بو كانت بالقلعة أشغال خاصة بترميمها، وقد زاره في بو أصحاب المقامات السامية ، كما كونت نساؤه بعض الصداقات مع فرنسيات، و بهذه القلعة كان الأمير يقيم في برج غاستون فوبوس بينما عائلته كانت نازلة بطوابق القلعة[3].

ج- تحويل الأمير عبد القادر إلى قصر أمبواز:

في ظل إختلاط الأمور في فرنسا عقب الإطاحة بالملك وإرغامه على التنحي وما خلفه ذلك من تداعيات، وأيضا نظرا لإمكانية حلفاء الأمير الإسبان والإنجليز من التسلل إلى قصر بو وتهريبه منه، إستقر رأي الحكومة الفرنسية الجديدة على نقل الأمير ومن معه إلى مكان آمن ورأت أن المكان الآمن هو قصر أمبواز، الذي لم يكن الوصول إليه بالأمر السهل بل كان متعبا وشاقا إلى أبعد حد، فقد كانت الرحلة عن طريق البر والبحر أيضا، حيث عبروا النهر من مدينة نانت إلى أمبواز و تم ذلك بسفينة لم تكن مخصصة لنقل البشر بل لنقل السلع والبضائع فحسب، ووصف المؤرخ الفرنسي اندي بيرارد هذا

---

[1] يحي بوعزيز وميكيل دو ايبالزا، الجديد في علاقات الامير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية، الطبعة الاولى، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة- الجزائر، 1402هـ/1982م، ص23-29.

[2] يحي بلعسكري، الامير عبد القادر، قناة الجزيرة الوثائقية.

[3] برونو اتيين، المرجع السابق، ص253-254.

السفر بالملحمة بالنظر إلى قساوتها وتعبيرا عن مدى تعذب الأمير ومن كان معه خلال هذا السفر ومشقته، مشيرا إلى أن نقل الأمير ورفاقه بسفينة كتلك يعود إلى أسباب أمنية[1].

ويذكر إبنه محمد أن الفرنسيين عند صدور قرار تحويل والده إلى أمبواز بمقاطعة أورليان أخذوه إلى بوردو رفقة أهله وأصحابه، ثم إلى نانت فتور وأخيرا إلى امبواز، ليبدي أحد الضباط بعد إيصاله للأمير وإدخاله إلى القصر إرتياحه الكبير، حيث كان يخشى من إستهداف اللأمير من قبل الفرنسيين أثناء سفره، لأن البيوت الفرنسية جلها لديها ثأر وتريد أن تأخذه بالانتقام منه بقتله[2]. وكان الأمير ومن معه قد وصلوا إلى أمبواز في 08 نوفمبر 1848 في الساعة العاشرة مساء، بحيث كان في إنتظاره العساكر إذ كانت الحراسة مشددة عليه أثناء نقله خوفا من تهريبه، أو من الاعتداء عليه اوقتله. وأمبواز مدينة وسط فرنسا شرق مدينة تور، كانت تتواجد بها عدة قلاع محصنة تحصينا جيدا، كما أنها تتميز بتواجدها على نهر لوار الواسع والذي كانت تسير فيه السفن والمراكب[3]، و يذكر شقيق الأمير عبد القادر أحمد بن محي الدين أن اطلالة قصر أمبواز تعطي نظرة غاية في الجمال وتبعث على البهجة، كما أن القصر يقع وسط بستان كبير تتوفر فيه المياه و أنواع كثيرة من الأشجار والنباتات[4]، أما عن ظروف إحتجازه في قصر أمبواز فقد كانت ظروفا صعبة و قاسية أيضا، إذ كانت هناك مشاكل طبيعية كالمناخ القاسي، فالمحتجزون لم يألفوا العيش في الجزائر في هذا المناخ الشديد البرودة، الذي تصل فيه درجات الحرارة إلى درجات متدنية جدا، ومشاكل نفسية أيضا والناتجة عما يسببه من ألم البعد عن الوطن[5]، ناهيك عن الظروف المادية، فمثلا لم يكن بالقصر إلا سريرين فقط، فيما فاق عدد المحتجزين ال 120 شخصا، كانوا عزلا، متعبين مرهقين جسديا ونفسيا، فكانوا مضطرين في أجواء شديدة البرودة إلى النوم على الأرض[6] .

وفي أمبواز إختطف الموت العديد من المحتجزين إثر تفشي مرض الكوليرا الذي أودى بحياة عدد من الرجال، كما توفي 19 من الأطفال تأثرا بالبرد القارص، وأيضا النساء اللواتي تعرضت الكثيرات

---

[1] اندي بيرارد، الأمير عبد القادر، قناة الجزيرة الوثائقية.

[2] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص12.

[3] نفسه، ص12-13.

[4] أحمد بن محي الدين، المصدر السابق، ص115.

[5] اندي بيرارد، الأمير عبد القادر، قناة الجزيرة الوثائقية.

[6] يحي بلعسكري، الأمير عبد القادر، قناة الجزيرة الوثائقية.

مهن إلى الإصابة بالاكتئاب الذي وضع نهاية لحياتهن. ولعل ما خفف قليلا من تلك المعاناة هو المعالمة التي تلقاها الأسرى من قبل الرهبان المتطوعين وبواسونيه خادم الأميرو الأب رابيون كاهن أمبواز والراهبتان بيير و سان موريس صديقتي اسرة الامير[1].

ورغم كل ماتعرض إليه الأمير عبد القادر في السجون الفرنسية، أين لم يجد إلا القسوة إضافة إلى فقد الأحبة، حيث فقد عددا من رجاله الأوفياء كما فقد إبنه وإبنته وكذلك إبن شقيق له، كما كان الأمير يخشى على أمه من ان تفقد حياتها نظرا لتقدمها في السن ونظرا لظروف السجن القاسية[2] إلا أنه كان دائما قويا بايمانه وبشخصيته التي بنيت على قواعد و أسس صلبة، فلم يكن يتأفف ولم يكن يشتكي من برد او من سوء، كما أنه ورغم قساوة ما لقيه في أسره إلا أنه لم يُبعد نظره عن العلم والتعليم، فاهتم بتدريس الأطفال و تحفيظهم القرآن الكريم، كما كان رجاله ينظمون حصصا للأطفال يُدَرِّسون خلالها الأطفال الأسرى ويحفظونهم أيضا القرآن[3].

وخلال فترة سجنه بأمبواز خاصة، كان للأمير عبد القادرعطاء علميا كبيرا، حيث إلتفت أكثر من ذي قبل إلى الإهتمام بمختلف العلوم، كما أنه تمكن من التأليف، وتفجر نشاطه العلمي بغزارة في آخر محطة من محطاته في السجون الفرنسية.

[1] برونو اتيين، المرجع السابق، ص261.

[2] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص260.

[3] علي محمد محمد الصلابي، سيرة الامير عبد القادر قائد رباني ومجاهد اسلامي، دار المعرفة، بيروت-لبنان،ص272.

المبحث الثاني: أمبواز المحطة الأخيرة في أسر الأمير:

المطلب الأول: فرنسا تعطي هامشا من الحرية للأمير:

*** جنرالات فرنسية والقس دوبوش يقفون إلى جانب الامير:**

بعد وصوله إلى قصر أبواز لم تكن الحكومة الفرنسية توافق على طلبات الزيارة للأمير إلا بموافقة من وزير الحربية، كما حرمته الحكومة من الإتصال ومن معه بالعالم الخارجي ومن كتابة ومن إستقبال الرسائل[1]. وخلال سجنه بأمبواز، طالب الأمير بضم إخوته إليه خاصة بعد إلحاح والدته على هذا الامر.

ونظرا لما عاناه الأمير في فترة أسره، بدأت شخصيات فرنسية تتدخل لدى المسؤولين الفرنسيين للرأفة بالرجل الذي يُشهد له بالإخلاص والوفاء وبنبل الأخلاق وسمو روحه، وقد تدخل أعداء الأمس من جنرالات فرنسا لصالحه، فسعى الجنرال لامورسيير وقام بمجهودات وكذلك فعل الدوق دومال من أجل إعطاء مجالا من الحرية للأمير[2].

كما سعى القس دوبوش إلى تحسين وضعية الأمير في سجنه وأيضا دافع عنه من أجل إطلاق سراحه، فقد كان القس معجبا بالأمير، لصدقه وإخلاصه ووفائه بوعوده التي لم يكن يشك أبدا في وفائه بها، ولتقشف الأمير وبساطته وعدم حبه للباس الفاخر وللطعام الراقي، متأثرا بصدقه وإخلاصه، فقد درسه قلبا وقالبا، وجذبه حب الأمير للصدق وكرهه الشديد للكذب وبغضه للخيانة، كان هذا القس يحترم الأمير إلى أبعد حدود بعد أن وقف بنفسه على كيفية معاملته لأسراه الفرنسيين عندما أعلن المقاومة ضد المستعمر الفرنسي، فقد كان رؤوفا بهم رحيما وسخيا معهم، مما جعله يؤكد أن الأسرى لو خُيّروا بين بقائهم لدى الأمير أوحريتهم، لاختاروا الخيار الأول، كما شهد القس دوبوش أن الأمير لم يقتل الأسرى ال 300 بل لم يكن لديه علم بمقتلهم[3]. وكان هذا القس الذي لم ينس جميل الأمير عبد القادر مع كل فرصة أومناسبة يتدخل لفائدته. وتذكر بديعة الحسني الجزائري انه بفضل مجهودات كل من دومال ولامورسيير وانطوان دوبوش، سمحت السلطات الفرنسية بزيارة الأمير من قبل طالبي

---

[1] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص262.

[2] بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص184.

[3] معمر حبار،عظمة الامير عبد القادر من خلال القس الفرنسي [على الخط] الجزائرية للأخبار، صحيفة الكترونية مستقلة متخصصة في تقديم الخبر و تحليله، 2020/05/16، متاح على الرابط https://dzayerinfo.com/ar/عظمة-الأمير-عبد-القادر-من-خلال-القسّ-ال/، 2021/03/06.

زيارته، كما تم جلب إخوته الذين إنظموا إليه في أمبواز والذين كانوا محتجزين في سجن سان باكريت، وهذا بعد تدخل لامورسيير ودومال، وأصبح الأمير بفضل تلك التدخلات مسموح له باستقبال الزائرين من الفرنسيين وكذلك من غير الفرنسيين [1].

اما بالنسبة لتشرشل فيذكر أن الزيارات للأمير عبد القادر سُمح بها عندما كان محتجزا في قلعة بو، حيث كان الناس يأتون من كل مكان بفرنسا لزيارته ورؤية هذا الرجل الفذ، كما كان من بين الزوار قادة عسكريون وسياسيون ودبلوماسيون الذين أعجبوا بشخصيته، وحكمته في التعامل حتى مع أعدائه، وكانت تلك الزيارات تطول أحيانا لساعات الأمر الذي جعل الأمير يشعر بالتعب والإرهاق، ويطلب تخصيص أوقات محددة لإستقبال الزوار، مضيفا أن الإتصال بالعالم الخارجي وتبادل الرسائل مُنعت عنه وعن رفاقه جميعهم في قصر أمبواز وحتى الزيارات مُنعت عنهم إلا بموافقة من وزير الحربية آنذاك لامورسييرالذي تم تعيينه في هذا المنصب خلال شهر جوان 1848[2]. وفي السياق ذاته يذكر المؤرخ الفرنسي أندي بيرارد أن الأمير عبد القادر ظل لأعوام ممنوعا من مغادرة سجنه، فيما كان الكثير من الزوار من أهل أمبواز يتوافدون عليه بعد أن سمح لهم بزيارته، ويضيف بيرارد أن تاريخ السماح للأمير بالخروج ليس معروفا، لكن المعروف هو أنه صار صديقا للقسيس الذي كان يرعى كنيسة أمبواز، مشيرا إلى أن مترجم الامير عبد القادر الخاص غابو لعب دورا كبيرا في تحرره و تحسين شروط إحتجازه[3].

ويعبر الصلابي عن إندهاشه من تدخل الجنرال كافينياك في قضية الأمير عبد القادر ودافع عنه لدى حكومته، وهو الذي جمعته به جولات قتالية في الجزائر، لكن رغم ذلك فقد أكد لحكومة بلاده أن الأمير عبد القادر لو كان في نيته مواصلة قتال فرنسا لفعل، خاصة وأنه كان بإمكانه لو أراد التوجه نحو جنوب الجزائر الذي كان مفتوحا أمامه[4].

[1] بديعة الحسني الجزائري، نفسه، ص 184-185.

[2] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص257-262.

[3] أندي بيرارد، الامير عبد القادر، الجزيرة الوثائقية.

[4] علي محمد محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، ص522.

المطلب الثاني: نشاطات وإنجازات الأمير الفكرية في الأسر:

بعد أن يئس الأمير من فك أسره، وبعدما كان في معظم الأوقات منشغلا بأمر إطلاق سراحه، أصبح وقته كاملا مخصص للتعبد والخلوة والتدريس وتحفيظ القرآن للأطفال، ونلاحظ أن نشاطاته العلمية أصبحت أكثر حيوية في قلعة أمبواز، بحيث واصل الأمير التدريس كما كان يفعل في قلعة بو لفائدة الأطفال وهو ما سبقت الإشارة إليه آنفا ، وكان يحفظهم القرآن أيضا رغم ما كان فيه من هم، كما كان رجاله يساعدونه في هذه المهام حتى لا يحرموا الأطفال من حقهم في التعلم وكذا تنشأتهم تنشأة سليمة، وتفاديا لتفشي الأمية بينهم، وليجعلوا من هؤلاء الأطفال رجال مستقبل على قدر كبير من العلم والمعرفة.

لم تقتصر نشاطات الأمير في أسره على هذه النشاطات فحسب، فبعد مرحلة اليأس التي تجاوزها بقوة وبعزيمة، إلتفت إلى التأليف فتمخض عن ذلك إنتاج كتابين، أولهما كتاب وحدانية الله، وحول هذا العنوان أشار أبو القاسم سعد الله في إحدى تعليقاته في كتاب حياة الأمير لتشرشل، أن تشرشل ربما كان يقصد كتاب المواقف، إلا أن المواقف تم تأليفه في سورية.

أما الكتاب الثاني فهو ذكرى العاقل وتنبيه الغافل[1]. ويذكر ناصر الدين سعيدوني أن الأمير ألف خلال إقامته في أمبواز كتاب المقراض الحاد لقطع لسان الطاعنين في دين الإسلام من أهل الباطل والالحاد وأنه رد من خلال هذا الكتاب على المشككين ومنتقدي الدين الإسلامي ودافع من خلاله على العقيدة الإسلامية[2]. و نجد أن ابو ألقاسم سعد الله يذكر بأن جميع مؤلفات الأمير عبد القادر ألفها طيلة فترة أسره بفرنسا، إلا مؤلفين إثنين و يتعلق الأمر بكل من كتاب المواقف وديوانه الشعري، ومن بين الكتب التي ألفها الأمير أيضا في سجنه كتاب السيرة الذاتية[3]، و التي ينفي أحفاده أنه صاحبها، مؤكدين أن الأمير لم يكتب مذكراته.

و عن كتابه المقراض الحاد يقول حفيده مكي الحسني الجزائري، أن الأمير ألفه في فترة إحتجازه بأمبواز، و سبب تأليفه جاء نظرا لانتقاص بعض المسؤولين السامين الأوروبيين من الإسلام في حضور الأمير عبد القادر، فكان رده سريعا على هؤلاء بتأليفه للكتاب، الذي يحتوي على أحاديث نبوية إضافة

---

[1] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص265.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 187.

[3] أبو القاسم سعد الله،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الطبعة 01، الجزء 04، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 1996، ص180.

إلى فتاوى للعديد من العلماء المسلمين التي تضمنتها كتبهم[1]. فيما نجد أن يوسف ولد النبيه يذكر أن المقراض الحاد هو أول مؤلف نثري للأمير عبد القادر مشيرا إلى أن مؤلفه هذا جاء عندما كان في "ضيافة" فرنسا، وسمع حينها من أحد القساوسة أن الإسلام لا يُدين ولا يَنهى عن الخديعة وعدم الإخلاص، ولا يعتبرهما صفتان قبيحتان، ما جعل بعض السادة الفرنسيين ممن لا يحبون الباطل يطلبون كتابة رده على من ينسبون إلى الإسلام ما ليس فيه وبالتالي تكذيبهم، وفعلا فقد كتب الأمير بعد تردد رده في رسالته المقراض الحاد، والتي تحتوي على مقدمة وباب خاص لإثبات الألوهية والطرق إلى معرفة المولى عز وجل، والثاني خصصه للنبوة والرسالة، أما الثالث فقد تناول فيه موقف الإسلام من الغدر والخيانة وعدم الإخلاص وعدم الوفاء بالوعد[2]. وتجدر الإشارة أن بديعة الحسني التي حققت الرسالة ذاتها أو المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد، نسبتها إلى الأمير عبد القادر الذي ألفها في حصن أمبواز عام 1852 والتي تُرجمت إلى الفرنسية في السنة ذاتها، مشيرة إلى أن المخطوط الأم للرسالة قد أعلنت دار الحياة للنشر والطباعة أنها عثرت عليه وطبعته عام 1966، كاشفة أنه تم العثور على نسختين من المخطوط، أولاهما بمكتبة الأسد بسورية و الثانية عثر عليها إبنها يزن العجلاني بمكتبةٍ بمدينة الرياض السعودية، وأن النسختين سيما الأولى فيها أخطاء وركاكة في الأسلوب، إضافة إلى كثرة الشطب بهما وإستبدال بعض الكلمات، مثل إستبدال جملة أثناء سجننا ب أثناء ضيافتنا[3].

أما في مجال الشعر فقد إتفق إبنه محمد وشقيقه أحمد على أن الأمير عبد القادر قام بتأليف قصيدة أثناء أسره بقلعة أمبواز، ضمنها محاسن البادية بطلب من سادة فرنسيين على علم بأن الأمير قادر على وصف البادية ومقارنتها بالعيش في المدينة في أبيات شعرية راقية، سيما و أنه إبن البادية[4] كما أنه يعرف المدينة، يقول في مطلعها :

---

[1] مكي الحسني الجزائري، جهود الأمير عبد القادر الجزائري في نشر علوم الحديث و بعثها مجددا [على الخط]، منديات الجلفة لكل الجزائريين والعرب، متاح على الرابط https://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=197917، 2009/10/09، 11:55.

[2] يوسف ولد النبيه، أساليب الخطاب الاقناعي عند الأمير عبد القادر الجزائري من خلال كتابه المقراض الحاد، جذور، مجلة فصلية علمية محكمة تعنى بالتراث وقضاياه، النادي الادبي الثقافي بجدة المملكة العربية السعودية، 46، رجب 1438هـ/2017.

[3] بديعة الحسني الجزائري، الامير عبد القادر الجزائري حياتة وفكره فكر الامير عبد القادر الجزائري، ترجمة ابو القاسم سعد الله، الجزء الثالث، دار الوعي للنشر والتوزيع، رويبة-الجزائر، ص78-79.

[4] أحمد بن محي الدين، المصدر السابق، ص115.

يا عاذرا لامرىء قد هام في

وعاذلا لمحب البدو و القفر

أتذممن بيوتا خف محملها

و تمدحن بيوت الطيبن و الحجر

و فيما يتصل بكتابه ذكرى العاقل الذي ألفه أيضا في أمبواز، فقد تمت كتابته إستجابة لطلب من المستشرقين والماسونيين، الذين أرادوا معرفة والإطلاع على أفكار وتوجهات الأمير عبد القادر ومواقفه من عدة قضايا ومسائل منها الفلسفة والأديان وغيرهما[1]، ويحمل هذا الكتاب مسائل فكرية وفلسفية ولذا فقد إهتم به غوستاف دوقا، الذي طلب من الأمير السماح له بترجمته، و تمت الترجمة من النسخة الأصلية للكتاب المخطوط، وقبل سفر الأمير إلى تركيا سلم الكتاب لرئيس المجمع العلمي الآسيوي كهدية نظير قبوله طلبه في الإنضمام إلى هذا المجمع[2].

ولم تقتصر نشاطات الأمير عبد القادر في أسره على هذه الأنشطة فحسب ، بل كانت له نشاطات فكرية أخرى، فعقب تدخل الأسقف دوبوش والدوق دومال ولامورسيار قبل أن يصبح الأخير وزيرا للحربية لصالح الأمير عبد القادر لدى حكومة بلادهم أصبح مسموح للأمير بالزيارات، وأضحى يستقبل شخصيات من كافة أرجاء المعمورة، ويتسلم الرسائل ومن بينها رسائل من الشيخ شامل الدغستاني، وكان الأمير يرحب دائما بزواره، ويجيب عن أسئلة السائلين المتعلقة بالدين الاسلامي وحول علوم للأمير باع فيها. كما كان يعقد ندوات علمية أسبوعية يحضرها مهتمون بفكره وبالفكر الإسلامي من الجنسين، وكان يقرأ على الحاضرين ملخصات من عدة كتب لعلماء مسلمين، منها كتاب أم البراهين أو العقيدة السنوسية الصغرى لصاحبه الامام محمد بن يوسف السنوسي والرسالة الفقهية في المذهب المالكي للامام عبد الله ابو محمد بن عبد الرحمن أبو زيد القرواني[3]، وكانت للأمير جلسات وحوارات ونقاشات، ناهيك عن مناظرات مع شخصيات من مختلف الجنسيات سيما الأوروبية

[1] ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص180.

[2] عبد القادر شرشار، شخصية المير عبد القادر من منظور الاخر ترجمة كتاب عبد القادر لغوستاف دوقا انموذجا، انسانيات، مجلة دولية محكمة متخصصة في نشر البحوث الميدانية، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، عددان 19-20 جانفي-فيفري2003، ص23-24.

[3] بديعة الحسني الجزائري، ومابدلوا تبديلا، ص184-185.

المسيحية ومن مختلف الفئات[1]. كما كانت للأمير عبد القادر جلسات مع القاضي محمد الشاذلي القسنطيني في أمبواز عام 1849، و يذكر أبو القاسم سعد الله أن اللقاءات والحوارات والسجالات التي كانت تجمعه بالأمير كانت أقل من تلك التي جمعته بصهره مصطفى بن التهامي[2].

كما يذكر محمد إبن الأمير أن الشاذلي كان يزور والده بطلب من فرنسا التي طلبت من إدارتها في الجزائر إختيار مؤنس للأمير ووقع الإختيار على الشاذلي[3].

[1] عبد الوهاب بلغراس، الأمير عبد القادر محطات متميزة في رؤية الآخر، انسانيات، نفسها، العدد77-78، جويلية-ديسمبر 2017، ص20.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص184.

[3] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص18.

المبحث الثالث: فك أسر الأمير وسفره إلى بورصة ثم إستقراره بدمشق:

المطلب الأول: نابليون الثالث يطلق سراح الأمير وإقامة الأخير بمدينة بورصة:

أ- إطلاق سراح الأمير بعد خمس سنوات من الأسر:

عندما أصبح لويس ناليون بونابرت رئيسا للجمهورية الفرنسية الثانية، وتم تنصيبه بقصر الإيليزيه، كان قد سمع كلاما طيبا وآخرا سيئا حول الأمير عبد القادر، وفي شهر جانفي 1849 أي بعد شهرين من إنتخابه رئيسا، ترأس نابليون مجلسا حضره الجنرال بيجو ووزير الحرب روبيار، حيث تم التطرق إلى مسالة إمكانية إطلاق سراح الأمير عبد القادر، و إن كان فك أسره أمر مستحسن أم مستهجن[1]، فنصحه بعض القادة الفرنسيين وعلى رأسهم بيجو بإطلاق سراحه، إلا أن وزير الحرب لم يوافق على ذلك بسبب إعتقاده بأن الأمير قد سبق له وأن قتل أسراه الفرنسيين، وقد سعى اللورد لوندنبري لإقناع نابليون بفك أسر الأمير لكن نابليون كان يجيب بأن ما يمنعه عن فعل الخير هو عدم قدرته على فعله[2]، وهذا قد يدل على أن نابليون وقتها لم يكن حرا في إتخاذه لقرارته بعد، وهو ما يؤكده المؤرخ الفرنسي إيريك انصو الذي أشار إلى أن نابليون الثالث عقب إنتخابه رئيسا لفرنسا لم يكن حرا بل كان مقيدا خلال الأشهر الأولى من توليه الحكم، وأنه سوف ينتظر إلى غاية 1851 حيث سيقوم بانقلاب وهو رئيس للجمهورية في 02 ديسمبر حيث تمكن من حل الجمعية الوطنية الفرنسية، وأن ينشىء نظام حكم يشبه نظام حكم عمه نابليون بونابرت قبل أن يصبح إمبراطورا والمتمثل في نظام القنصلية، وبقي نابليون يتذكر دائما قصة الأمير عبد القادر، سيما وأنه كان متفتحا على الإسلام ويحترمه كديانة[3]. وكان نابليون يظهر دائما رغبته في إطلاق سراح الأمير، خاصة وأن السلطات العثمانية كانت مستعدة لاستقباله، وتشير الباحثة نادية طرشون أن ثورة 1848 التي غيرت الأوضاع بكل من فرنسا والجزائر والتي نتج عنها إنشاء دستور جديد تضمن إلحاق الجزائر رسميا بفرنسا، مكنت نابليون من تبوء الحكم ، وأنه كان من خلال تفكيره في فك أسر الأمير،التفكير في إعادة هيبة ومكانة فرنسا أمام دول العالم

---

[1] Eric Anceau, La relation spéciale entre Napoleon3 et l'Emir Abdlkader ,en ligne, Campus l'umières d'Islam, 20/11/2020, disponible sur le lien suivant https://www.youtube.com/watch?v=t7GsoqINSFA

[2] برونو أتيين، المرجع السابق، ص264.

[3] Eric Anceau, La relation spéciale entre Napoleon3 et l'Emir Abdlkader.

خاصة الأوروبية منها، ويحتم ذلك عليها الوفاء بالوعد، وعليه تنفيذ وعد من سبقوه في الحكم لكنه صادف صعوبات[1].

وأمام موقف نابليون وظروفه، حاول المارشال بيجو الحصول على موافقة رسمية من الأمير عبد القادر وتوقيعه على وثيقة قبوله البقاء في فرنسا وعدم مطالبته بالذهاب إلى المشرق على أن توفر له السلطات الفرنسية كافة متطلبات العيش الرغيد وحياة الرفاهية، بمنحه قصورا فخمة وخدما وحشما و أراضي يستغلها مع رفاقه في الإنتاج الزراعي، وقد أجابه الأمير بنفس الإجابة التي رد بها على دوماس عندما عرض عليه الملك لويس فيليب العرض ذاته، وأنه لن يقبل بالعرض وليبقى أسيرا إلى الممات إذ ستظل قضيته وصمة عار على جبين فرنسا، وأن العالم سينظر إليها حينها نظرة إزدراء[2]. وقد ذكر شقيقه أحمد أنه لما إستتب الأمر لنابليون أراد إطلاق سرح أخيه قصد إعادة هيبة فرنسا، فبعث إلى محمد علي باشا والي مصر ليسأله عما إذا كان بإمكان الأمير الرحيل إلى مصر والمكوث بها، إلا أن محمد علي رفض ذلك، ليتوجه نابليون بإرسال رسالة إلى السلطان العثماني عبد المجيد تحمل الطلب ذاته، فجاءته الموافقة دون أدنى تردد بأنه يأذن بدخول الأمير إلى أراضيه والبقاء بها[3]، وعلى إثر هذا الرد العثماني طلب نابليون من الأمير أن يسمح بتسفير رفاقه إلى الجزائر فوافق الأمير على الطلب، إلا أن رفاقه لم يريدوا أن يفارقوه، لكن رغم ذلك فقد تمت إعادتهم إلى الجزائر في آخر المطاف، وبعد ذلك تم ترحيل إخوته إلى الجزائر ومنها الى عنابة، واعتذر نابليون من الأمير على خطوة إرجاع إخوته إلى الجزائر، كاشفا له أنه فعل ذلك لإختبار مدى قابلية الشعب الفرنسي والمسؤوليين الفرنسيين لغطلاق سراحه، أي أن العملية كانت لجس نبض الفرنسيين، حيث أنه إذا لم يعترض أحد على ترحيلهم إلى الجزائر فمعنى ذلك أنه لن تكون هناك معارضة تحول دون رحيل الأمير إلى المشرق[4].

وأثناء قيامه بزيارة عمل إلى مدينة تور، عرج نابليون على أمبواز بحيث إلتقى بالأمير عبد القادر، كان ذلك يوم الثلاثاء 03 محرم 1269هـ الموافق ل 16 اكتوبر 1852م، وأثنى حينها على الأمير والخصال الحميدة التي يتمتع بها، وخلال هذا اللقاء سلم نابليون للأمير وثيقة وفاء لعهد فرنسا مبشرا

[1] نادية طرشون، سياسة نابليون الثالث العربية، دراسات و ابحاث، دورية جزائرية علمية دولية محكمة ربع سنوية، جامعة عاشور زيان الجلفة، العدد26، 31 مارس 2017، ص330.

[2] برونو أتيين، نفسه، ص263.

[3] أحمد بن محي الدين، المصدر السابق، ص122.

[4] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص37.

إياه بأنه سيطلق سراحه و سيكون بإمكانه الرحيل إلى إسطنبول[1]، وقد إتخذ نابليون هذه الخطوة بعد ثلاثة أشهر من ترحيل إخوة الأمير، وبعد أن تأكد أنه لن تكون هناك أية أصوات معارضة لخطوة إطلاق سراح الأمير، لا من الشعب الفرنسي ولا من المسؤولين الفرنسيين ولا حتى من الصحافة الفرنسية، بما أن هؤلاء جميعهم لم يعارضوا إعادة رجال وإخوته إلى الجزائر[2]. ويشير برونو اتيين إلى أن هذه الخطوة أتت بفضل مجهودات بواسونيه المكلف بخدمة الأمير عبد القادر، بعد أن ساهم في ربط الإتصال بين الأمير ونابليون، وأن زيارة الأخير للأمير في أمبواز عند زيارته مدينة تور قررها وحققها رغم معارضة جاك لوروا سان ارنو لهذه الزيارة. وقد سبق هذه الزيارة كتابة رسالة من قبل نابليون إلى الأمير بخط يده بعد إجتماعه بإحدى قاعات حصن أمبواز بجنرالاته والوزراء، جاء فيها أن لويس نابليون جاء لأمبواز ليطلق سراح الأمير ونقله ومن معه إلى إسطنبول وأنه سيتم تخصيص مرتبا شهريا معتبرا له تليق بقيمة شخصية مثل الأمير، وأنه كان حزينا لسجنه لأن الحكومة السابقة لم تف بالوعد، وهو أمر مخجل فعلا سيما وأنه صدر عن أمة مثل فرنسا، وأن المستعمرات الفرنسية في إفريقيا لن تتاثر بتواجد الأمير بتركيا، وأن الجزائر قدر لها الله أن تكون فرنسا سيدة عليها ولذا فإنه لن يتخلى عنها، معترفا بشجاعة وبسالة وإخلاص الأمير، وعقب زيارة نابليون للأمير وتسليمه الوثيقة فرح الأخير فرحا كبيرا وباشر بإرسال الرسائل إلى كل من وقف إلى جانبه من الفرنسيين وإلى صديق له يدعى اينار اينار [3] .

إستجابة لدعوة نابليون، خرج الأمير من سجنه بأمبواز و اتجه إلى باريس عبر القطار ومعه رجاله وبواسونيه، فاستقبله نابليون ورجاله بقصر لاسيل سان كلو في 30 أكتوبر 1852، و بعد الترحيب به وضبط ساعته على ساعة القصر التي كانت تشير إلى توقيت مكة، قدم الأمير عبد القادر كلمة بعد أخذ الإذن من نابليون[4]، شكر فيها نابليون على خطوة إطلاق سراحه مبديا له إحترامه الشديد له، واعدا إياه بأنه لن يقوم بأي عمل معاد لفرنسا أو أن يخون الثقة التي وضعها فيه نابليون، مطمئنا إياه بأنه لن يعود أبدا إلى الجزائر، طالبا منه إعتباره صديقا له. وبعد تجولهما في القصر أهداه نابليون فرسا ثم قدمت لهما فرقة الخيالة تحية عسكرية، وبقي الأمير يستقبل مودعيه من قادة عسكريين ورجال دين وساسة وأمراء وغيرهم، ومن بينهم الجنرال كوربي دي كونيور الذي كان أسيرا لدى الأمير بمراكش، كما

---

[1] نفسه، ص37.

[2] أحمد بن محي الدين، المصدر السابق، ص123.

[3] برونو اتيين، المرجع السابق، ص267.

[4] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص267.

زار الأمير الكنائس وشكر القس دوبوش الذي قام بمجهودات لإطلاق سراحه ، وزار أيضا المطبعة الوطنية الفرنسية والتي وجد بها نسخة طبق الأصل عن وثيقة إطلاق سراحه التي قدمها له نابليون[1].

خلال عودة الأمير إلى أمبواز، عقد مجلس نواب الأمة الفرنسي مجلسا لمناقشة مسألة تغيير الجمهورية إلى امبراطورية وتم إعطاء حق الإنتخاب للأمير الذي صوت رفقة رجاله لفائدة الإمبراطورية ولصالح نابليون، وأقر المجلس نابليون إمبراطورا لفرنسا[2]، وسافر الأمير ثانية إلى باريس بحيث قدم التهاني لنابليون بقصر التويليري في 02 ديسمبر 1852[3] ثم عاد إلى أمبواز لإستكمال تجهيزات الرحيل. ويقول تشرشل فيما يتصل بهذه الإنتخابات بأنه في 21 نوفمبر 1852، أُعلن عن تنظيم عملية إقتراع لإنتخاب الإمبراطور، وأن الأمير هو من طلب منحه حق التصويت والذي قُبل، وتمت العملية في 27 نوفمبر 1852 والتي صادفت الذكرى العشرون لبيعة الأمير الأولى، مضيفا أن الأمير صوت رفقة 12 من رجاله لصالح نابليون[4].

قبل سفره إلى الآستانة و أثناء جولاته بمختلف نواحي فرنسا، إلتقى الأمير بعدة شخصيات أبرزها دي روتشيلد الذي زار الأمير الذي كان حينها بمحطة ليون منتظرا قطار مدينة شالون، في رحلته عبر القطارات من أورليان إلى باريس، وقد جرت بين الرجلين محادثات. كماحظي أيضا الأمير باستقبال حار من قبل سكان ليون ومسؤوليها وكذلك بافينون لينتقل بعدها إلى مرسيليا [5] التي سينطلق منها باتجاه إسطنبول، بعد أن تقرر أن يصحبه إليها بواسونيه وطبيب ومترجم[6].

ب- سفره إلى إسطنبول وإقامته ببورصة:

أبحر الأمير عبد القادر من مرسيليا باتجاه إسطنبول في 21 ديسمبر 1852، و قبل الوصول إليها توقف بصقلية فاكرمه حاكمها، الذي أخذه في زيارة الى المدينة، ثم إلى مختلف المناطق الأخرى بالجزيرة، وكان من بين مرافقيه في هذه الجولات التي سُخِّرت لهم خلالها العربات والأحصنة للتنقل بحرية وكذلك بأريحية، إبنه الأكبر محمد الذي وصف بدقة المناظر الطبيعية التي تزخر بها تلك الجزيرة،

[1] برونو اتيين، المرجع السابق، ص207-272.

[2] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص47.

[3] برونو اتيين، المرجع السابق، ص273.

[4] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص271.

[5] برونو اتيين، المرجع السابق، ص274.

[6] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص48.

وصف السهول والبساتين الغناء والأشجار المثمرة وجبالها [1] ومنها جبل النار الذي وصفه وتحدث عنه أيضا عمه أحمد بن محي الدين، هذا الجبل الذي زاره الأمير ووقف على بركانه الثائر حينها والذي تقاذفت من فوهته الحمم فصنعت مشهدا عجيبا[2].

بعد وقفة الإستراحة التي أخذها الأمير في جزيرة صقلية، واصل طريقه إلى إسطنبول ووصل إليها يوم الجمعة 28 ربيع الاول 1269هـ الموافق ل 08 جانفي 1853م[3]، وما إن وضع قدميه على أرضها حتى كانت له أول زيارة، التي قادته إلى ضريح أبو أيوب الأنصاري ثم مسجد أيا صوفيا، و بعدها زار الصدر الأعظم مصطفى رشيد[4]. و في ثاني يوم له باسطنبول زار السفارة الفرنسية والتقى بعدها السلطان عبد المجيد الذي أكرمه ومن معه ومنهم إبنه البكر محمد الذي تعرف عليه السلطان. وخلال هذا اللقاء أعلم السلطانُ الأميرَ أن مقر سكناه سيكون بمدينة بورصة فوافق الأمير دون أدنى تردد، رغم أن السلطان قد أكد له بأنه بإمكانه إختيار أي مكان تابع للدولة العثمانية والعيش به، فشكره الأمير ومن معه وكانوا مرتاحين مطمئنين[5].

إلتحق الأمير عبد القادر بمدينة بورصة بعد مرور عشرة أيام من لقائه بالسلطان العثماني، أين إستقبله صهر السلطان عبد المجيد خليل باشا إستقبالا حارا، وقد أبدى الأمير حين وطأت قدماه أرض بورصة إعجابه الشديد بها، سيما وأنه رأى مدى شبهها بمدينة تلمسان[6].

وقد مدح الأمير عبد القادر السلطان عبد المجيد في قصيدة مما دل على تخطي مرحلة توتر العلاقة بين الطرفين، والتي عرفتها سنوات مقاومة الأمير عبد القادر المسلحة للإحتلال الفرنسي، و يضيف الباحث زبيري بومدين أنه بعد زيارة الأميرلعدد من المسؤولين العثمانيين تم إستئجار بيت له ليقيم فيه بقيمة 500 قرش و تم أيضا تأثيثه بمبلغ قدر ب28465 قرش، وأن السلطات العثمانيه هي من

---

[1] نفسه، ص48.

[2] أحمد بن محي الدين، المصدر السابق، ص124.

[3] محمد بن عبد القادر، نفسه، ص50.

[4] عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر وادبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري، 2000، ص54.

[5] محمد بن عبد القادر، نفسه، ص51.

[6] محمد بن عبد القادر، نفسه، ص51-54.

تكفلت بتوفير كل مايحتاج إليه الأمير، وليست السفارة الفرنسية هي من فعلت كما تمكن الأميرمن شراء مزرعة بمنطقة جلتك القريبة من بورصة[1].

بينما برونو اتيين يذهب إلى أنه وإثر وصول الأمير إلى إحدى المرافئ عن طريق بحر مرمرة أبدا مسؤول مرفا مديانا عدم إهتمامه به ، ناهيك عن تخصيص السلطات العثمانية لمنزل غير لائق بالأمير، وأنها دفعت مقابل تلبية حاجيات الأمير 40000 قرشا، دون تقديم اية خدمات للامير ولاحتى اية مساعدة او تعاون، عارضا بالمقابل الإعانات المالية التي قدمتها السفارة الفرنسي للأمير حيث تم تخصيص 8333.33 فرنك كراتب له كل 20 يوما، إضافة لإعانات خاصة باستقراره ب38645 فرنكا ومبلغ قدر بـ 295000 فرنكا موجه لترميم بيته الذي خصصته له السلطات العثمانية، وإقتناء مزرعة بجلتك التي تبعد عن بورصة بحولي 20 كلم، وكان على الأمير التكفل بإسكان إضافة إلى زوجاته وأبنائه، الخدم الاثنى عشر من الجنسين، وموظفيه الستة وتحمَّل الأمير أيضا مسؤولية إيواء رفاقه وأُسَرِهم[2].

وفي الشأن ذاته وصف تشرشل البناية التي خصصتها السلطات العثمانية للأمير بأنها كانت عبارة عن خان قديم مقرف وهو ما جعل الأمير يلجا إلى شراء مزرعة[3]. وأوضح تشرشل أن الراتب السنوي الذي خصصه نابليون الثالث للأمير قدر ب4000 جنيه استرليني، مما يمكنه من العيش برفاهية دون الحاجة إلى مال السلطات العثمانية، وأن الأمير خصص جزءا لقضاء حاجياته من راتبه وقَسَّم الباقي على مرافيقه[4].

كما أشار تشرشل أيضا أن الأمير كان غير مُرَحب به لدى العثمانيين، إذ أن الوزراء العثمانيون إستقبلوه بمظاهر إستقبال متصنعة من ترحيب والتبجيل واللُّطف الذي أبدوه ظاهريا فقط، ويعلل ذلك بكونهم متعجرفون ويكرهون كل السلالات البشرية عدا السلالة العثمانية فقط، كما أن الغيرة تملكتهم من الأمير نظرا لما يتمتع به من قبول لدى الناس ومكانة رفيعة، وأيضا ما يتمتع به من علم وأخلاق

---

[1] زبيري بومدين، اقامة الامير عبد القادر في مدينة بورصة 1853-1856م بين الكتابات الغربية والوثائق العثمانية، المعيار، مجلة علمية محكمة تصدر كل ثلاثة اشهر، كلية أصول الدين، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الانسانية بقسنطينة، العدد51، شوال1441هـ/2020م، ص622-625.

[2] برونو اتيين، المرجع السابق، ص277.

[3] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص275.

[4] نفسه، ص274.

عالية أيضا، كما أنهم نظروا بسخرية إلى الترحيب الذي قوبل به لدى نزوله ضيفا على بلادهم، ويشير تشرشل أيضا إلى تلك العنصرية التي إستهدفت الأمير في مواقف منها أنه عندما طلب السلطان من الباشا أن يسخّر للأمير عربة فقابل الباشا هذا الأمر باستهزاء دلت عليه نبرته العنصرية ضد العرب، حيث إستغرب من ركوب عربي لعربة بدل الجمال[1].

وفيما يتصل بحرية تنقل الأمير يشير زبير بومدين إلى أن الأمير وعكس ما إدعاه الأجانب في كتاباتهم فإن الأمير كان يتنقل في بورصة بحرية تامة و بدون أي تضييق، بينما فرنسا بقيت تتابع تحركاته عن طريق سفارتها، كما عينت المترجم الفرنسي بولاد ضمن دائرة خدمة الأمير لكي يزود سلطات بلاده بكل صغيرة و كبيرة عنه، وفعلا فقد كان وبشكل يومي تقريبا يزود السفارة الفرنسية بتقارير تتضمن حتى أدق التفاصيل عن الأمير، الذي كانت فرنسا تخشى من نقضه للوعد[2].

و قد أكد إبن الأمير مسألة عدم تضييق السلطات العثمانية على الأمير، حيث عبر محمد عن إرتياحه وإرتياح والده بمدينة بورصة وعن إعجابهما بها أيضا، وهذا ما يدل على إحتمالية عدم التضييق عليهم، وممكن أن يكون ذلك فعلا ماحدث، و في المقابل يمكن أن يكون ما ذكره هو من باب الدبلوماسية وعدم نكران جميل السلطات العثمانية وإحتضانها للأمير بعد أن رفض محمد علي باشا والي مصر مجيئه إلى بلاده، كما لاننسى أن محمد باشا إبن الامير عبد القادر كان من بين إخوته الذين إنحازوا إلى الدولة العثمانية فيما بعد، وهو ما قد يحتّم عليه عدم التلميح إلى تضييق السلطات العثمانية على والده أثناء إقامتهم ببورصة إن حدث ذلك طبعا.

ويذكر محمد من جهة ثانية أن السلطات العثمانية كانت لديها نيه في تخصيص مرتب شهري للأمير، إلا أن الأخير أكد أن الإمبراطور الفرنسي قد خصص له مبلغا كافيا وأن السلطان أعطاه ما هو أغلي من أي شيء في الدنيا وهو السماح له بالإقامة على أراضيه[3].

فيما نجد برونو اتيين يذكر ما يدل على أن العثمانيين كانوا منزعجين من التكفل المادي بالأمير، لأنهم إشتكوا –حسب ما جاء في كتابه– للسفارة الفرنسية من نفقاته ونفقات أهله وأصحابه وسفر إخوته بين إسطنبول والجزائر، وتأمين رحلات مجانية لهم ولأصحابه. ويضيف بأن السفارة الفرنسية كانت تُؤمّن للأمير ولأهله حاجياتهم ومتطلباتهم، لأن السلطات العثمانية إعتبرتهم من الجالية الفرنسية

[1] شارل هنري تشرشل، نفسه، ص272-274.

[2] زبيري بومدين، المرجع السابق، ص226.

[3] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص54.

في بلادها. فيما أكد تعيين بولاد المترجم لمراقبة الأمير وأنه كان يرفع تقاريره بما فيها تلك الخاصة بمراسلات الأمير بعد أن يترجمها إلى سفارة بلاده في إسطنبول[1].

مارس الأمير عبد القادر خلال تواجده ببورصة هوايته المتمثلة في المراسلة، من خلال إرسال رسائل إلى الفرنسيين الذين ساعدوه أيام أسره وعلى رأسهم راهبات وقساوسة، كما اهتم باقتناء الكتب وبمطالعتها[2]، وكان يزور المدارس و يقدم الدروس ويفتح أبواب المناقشة، إضافة إلى قيامه بأعمال خيرية والتجول ممتطيا حصانه، وتمكن أيضا أثناء إقامته ببورصة من زيارة مدينة ديار بكر[3]، وزار الأمير هناك عدة شخصيات وعلماء وعلى رأسهم الشيخ يوسف بدر الدين المغربي.

أقام الأمير في بورصة حفل ختان أبنائه وكذلك ابناء الفقراء والمعوزين على نفقته الخاصة، وبعدها بفترة وبينما كان الأمير وأسرته يعيشون في سلام وبخير، ضرب زلزال قوي مدينة بورصة ألحق بها كارثة، نظرا للخسائر الكبيرة والفادحة في الأرواح وفي الممتلكات، مما إضطرهُ لأخذ أهله إلى مزعته بجلتك بحيث كان قد بنى قصرا فخما بها، وبعدما لاحظ الأمير عدم قدرة أهله على مواصلة العيش ببورصة التي كثرت بها الزلازل، أخذ يفكر في تغيير مقر إقامته الى دمشق، ثم سافر إلى باريس أين التقى بنابليون وهنأه بانتصار الحلفاء على الروس ثم عاد إلى إسطنبول، وإثر ذلك كتب طَلَبَ نقل الإقامة إلى دمشق فوافقت السلطات العثمانية على طلبه[4]. فيما رأى البعض أن الأمير لم يعد يقدر على الإستمرار في العيش ببورصة لعدم شعوره بالراحة هناك وتردد في طلب الخروج إلى بلاد أخرى إلى أن جاءته فرصة الزلزال، فطلب إذنا بزيارة فرنسا، التي زارها والتقى بنابليون واتفق معه على السفر و الإستقرار بدمشق[5].

---

[1] برونو اتيين، المرجع السابق، ص279.

[2] نفسه، ص280.

[3] زبيري بومدين، المرجع السابق، ص226.

[4] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص262-263.

[5] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص276.

المطلب الثاني: توجهه إلى بلاد الشام واستقراره بدمشق إلى غاية وفاته:

أ– إستقراره بدمشق وعلاقته باهل الشام:

إثر موافقة الباب العالي على طلب الأمير عبد القادر بنقل إقامته إلى دمشق، جهز نفسه للرحيل هو ومرافقيه، وفي 05 ربيع الثاني 1272هـ إستقل ومن معه سفينة تجارية فرنسية باتجاه بيروت، التي وصلها في 24 نوفمبر1856، والتي إستقبله أهلها وعلى رأسهم واليها نامق باشا استقبالا حارا[1]، ولما بلغ أمر قدومه الى أمراء و مشايخ وأعيان لبنان منهم آل أرسلان الدروز، استقبلوه في جبل لبنان بالترحيب والإجلال فكانوا يطلقون الطلقات النارية إحتفاء بالمير الذي سبقته شهرته إليهم، فطلبوا منه أن يقيم بينهم لأيام لكنه إعتذر منهم شاكرا لهم حسن استقبالهم وضيافتهم له[2]، لكن هذ لم يمنع فتح هؤلاء أبواب طرح أسئلتهم على الأمير حول مقاومته للاستعمار الفرنسي في الجزائر مُعَبّرِين له عن إعجابهم الكبير به وبمقاومته وبفرحتهم بقدومه وبالتَّمكُّن من رؤيته[3].

خلال تواجده بلبنان إستضافه الضابط الإنجليزي شارل هنري تشرشل عنده وأكرمه بضيافة كبيرة ليلتها. وقبل أن يواصل طريقه إلى دمشق عبّر الأمير أمين أرسلان نيابة عن الدروز، عن حبهم و تقديرهم له حتى من قبل أن يروه، ثم شكرهم الأمير وانطلق في اليوم الموالي نحو وجهته، وعند وصوله إلى منطقة دُمَّر بدمشق وجد في استقباله والي دمشق محمود نديم[4]، وكذلك وجهاءها ونقيب اشراف الشام الشيخ حمزاوي[5]. كما وجد في استقباله سكان دمشق بمختلف فئاتهم العمرية، الذين كانوا ينتظرون قدومه بشغف على جنبات الطرقات لكي يحظون برؤية الأمير الذي سمعوا عن بطولاته وبسالته وجهاده وعلمه وتدينه، واستقبلوه في موكبه الإحتفالي وكأنهم في عيد، فكان يحييهم مبتسما تسبقه فرقة عسكرية تركية وفرقة كانت تؤدي الموسيقى العسكرية، حتى قيل أنه لم يحظ أحد بمثل هذا الإستقبال بدمشق بعد صلاح الدين الأيوبي[6]. و كان اول ما قام به الامير عقب وصوله مباشرة، زيارة ضريح محي الدين بن العربي الذي كان متأثرا به.

---

[1] محمد بن عبد القادر، نفسه، ص266.

[2] طاعة سعد، دور الامير عبد القادر الانساني في ازمة الشام الطائفية سنة 1860م، قضايا تاريخية، مجلة تاريخية نصف سنوية اكاديمية محكمة، مخبر الدراسات التاريخية، المدرسة العليا للاساتذة، بوزريعة، العدد 1438،05هـ/2017م، ص44.

[3] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص277.

[4] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص66.

[5] جعفر الحسني الجزائري، الامير عبد القادر، الجزيرة الوثائقية.

[6] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص277.

وبدمشق إشترى الأمير بيتين بمال كان قد أعطاه إياه السلطان عبد المجيد قبل خروجه من بورصة باتجاه الشام، و أخرى بزقاق النقيب و بنى على أنقاضها بعد أن هدمها دارا أوسع و أجمل، كما قام بترميمات على مستوى البيتين الأخريين، وانتقل إليهما الأمير بعد إتمام الترميمات تاركا البيت الذي إستاجرته له السلطات العثمانية. ومع مرور الوقت تمكن الأمير من شراء 07 بيوت أخرى منها ما خصصها لضيوفه، وأقام حديقة على أنقاض بيوتا كان قد اشتراها، واشترى ايضا طاحونة وكذا مزارع وأراضي بعدة مناطق من دمشق منها: الغوطة وأشرفية صحنايا، وشيد قصره بدُمَّر على أرض كان قد اشتراها [1].

وكان أول بيت أقام به الأمير مع أهله هو قصر مهيب بحي العمارة[2] أقدم حي بدمشق بزقاق النقيب بالقرب من المسجد الأموي، هذا وقد إختار الأمير هذا البيت ليكون بيته الشتوي أما قصره الفخم بقرية دُمَّر فقد كان يقيم فيه خلال فصل الصيف، وهو قصر يطل على مناظر خلابة و على نهر بردى[3].

و تعددت أسباب إختيار الأمير دمشق للإقامة فيها، حيث تذكر بديعة الحسني أن هذا الإختيار جاء لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في الشام "الشام صفوة الله من بلاده"، ولأن دمشق سميت نسبة إلى حفيد النبي نوح عليه السلام دمشاق الذي إزدهرت على عهده المدينة[4]. كما يرى بلال الداهية أن الأمير إختار دمشق لأنه زارها مع والده في نهاية عشرينيات القرن التاسع عشر في رحلة الحج، و أخذ بها الطريقتين المولوية على يد الشيخ صبري أفندي و النقشبنديه عن الشيخ خالد النقشبندي، و أخذ العلم على يد مشايخها[5]، و بدوره الباحث السوري تيسير خلف يذهب أيضا إلى أن من هذه الأسباب أن الأمير أحب المدينة عندما زارها مع أبيه في رحلة الحج، وتعرفه على مشايخ وعلماء وأناس آخرين بها، ويضيف أن الكثير من الجزائريين خاصة بعد تسليم الأمير، غادروا الجزائر

---

[1] نزار أباظة، المرجع السابق، ص15-16.

[2] اوضح جعفر الحسني لي أن دار جده الامير عبد القادر الرئيس كان بيته المتواجد بحي العمار بدمشق القديمة بجانب المسجد الأموي، بينما داره بدمر والذي توفي به كان يسكنه صيفا فقط.

[3] بلال الداهية، حكاية سورية [على الخط] حصة من اعداد رامي زين الدين و تقديم ميرا القاس، قناة تلفزيون أورينت الفضائية، 2017، متاح على الرابط https://www.youtube.com/watch?v=ebjnl9b-XM8 ، 17 ماي 2018.

[4] بديعة الحسني الجزائري، ومابدلوا تبديلا، ص196-197.

[5] بلال الداهية، حكاية سورية، تلفزيون أورينت.

باتجاه دمشق وأنهم إختاروها نظرا لعدة عوامل، منها اللغة والدين والبيئة والمناخ الذي يشبه مناخ الجزائر[1]. وفي سياق متصل فإن بشير بلاح يذكر أن الجزائريين إختاروا المشرق بصفة عامة للهجرة والإستقرار نظرا لبيئته الدينية والثقافية، إضافة إلى أن الأماكن المقدسة لدى المسلمين تجتمع فيه، كمكة و بيت المقدس وأهم المساجد[2]. وعلى الأغلب فإن هذا التميز ومعرفته السابقة بدمشق وأهلها و علمائها هو الذي جعل الأمير يختارها للإستقرار بها سيما وأنها قريبة من الأماكن المقدسة المذكورة وتتوسطها مما يسهل عليه التنقل إليها حين يشاء بسهولة.

كانت حياة الأمير بسيطة بدمشق، فقد كان يؤدي صلواته ويتعبد كما كان منهمكا في تنظيم حلقات التدريس لفائدة طلبته، وفي مطالعة الكتب. ويذكر حفيده الأمير سعيد في تسجيل نادر بأن جده كانت أيامه كلها مستثمرة في طلب العلم ومجالسة العلماء[3]، وأنه كان يمضي كل أوقاته في طلب العلم، كما كان يمارس كتابة الرسائل إلى أصدقائه منهم نابليون الثالث الذي بقيت تجمعه به صداقة، وكذا رئيس إحدى البنوك السويسرية والراهبة التي قامت بالإشراف على صحة زوجته وعالجتها أثناء فترة أسره بأمبواز، وأرسل ايضا الرسائل إلى الأمراء و الرؤساء و الملوك بما أنه شخصية سياسية ورجل دولة ودين أيضا، ولعل من بين أهم رسائله هي تلك التي أرسلها إلى الامبراطور الروسي يتدخل فيها لفائدة الشيخ شامل الدغستاني الذي شارك في حرب القوقاز ضد روسيا، وبفضل هذا التدخل تم إطلاق سراح الدغستاني باعتبار الأمير شخصية ذات وزن كبير[4].

أحب أهل دمشق والشام بعامة الأمير عبد القادر نظرا لعلمه وحكمته وأخلاقه العالية، فكانوا يتوافدون عليه للنهل من علمه في مختلف العلوم ولأخذ الحكمة عنه. كما كانوا يُجِلونه نظرا لنسبه الشريف وكذا لمساره الجهادي الطويل[5]. وكان إهتمام العلماء بدمشق كبير بالأمير كيف لا وهو الفقيه العالم، فكانوا كثيرا ما يترددون عليه وهم من ألحوا عليه للعودة إلى مسار التدريس وإقامة حلقات العلم

---

[1] تيسير خلف، حكاية سورية، تلفزيون أورينت.

[2] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصرمن 1830 الى 1989، الجزء الاول، دار المعرفة، باب الواد–الجزائر، ص320.

[3] سعيد الجزائري،ذكريات[على الخط] تحقيق الحسن بن بلقاسم، قناة أرشيف جزائري على اليوتيوب، متاح على الرابط https://www.youtube.com/watch?v=i1DMiZWVg3M

[4] محمد الامين بلغيث، الامير عبد القادر، قناة الجزيرة الوثائقية.

[5] كريمة حرشوش، الامير عبد القادر في ربوع الشام وموقفه من الفتنة الطائفية 1856–1860، عصور، مجلة علمية نصف سنوية محكمة، مخبر البحث التاريخي لكلية العلوم الانسانية و العلوم الاسلامية، جامعة وهران1، العدد الاول، 2020، ص40.

لفائدة الطلبة الراغبين في التتلمذ على يده[1]. ويذكر سهيل الخالدي أن الأمير عبد القادر عندما إستقر بدمشق كان يتردد عليه مشايخ وأعيان وسادة وعلماء بلاد الشام، سيما العرب منهم الذين تم تهميشهم من قبل الدولة العثمانية، الذين قربهم الأمير جدا منه وخصص لهم أيضا مرتبات شهرية. كما كان الأمير يقوم بأعمال خيرية وكان أيضا يقضي حوائج الناس[2] وهي الأعمال أيضا التي وثقت العلاقة بينه وبين أهل دمشق واهل الشام بعامة خاصة وأنه لم يكن يفرق في تعامله بين المسلمين وغير المسلمين. ويرى البعض أن هناك عوامل عدة ساهمت في تبوء الأمير مكانة إجتماعية بدمشق ويكون زعيما شعبيا له مكانته الرفيعة بين اهلها، منها دخله المادي الضخم أو راتبه السنوي الذي كان يُمنح له من قبل فرنسا وهو راتب كبير جدا مكنه من الإنفاق بسخاء[3] و يشير تيسير خلف إلى أن أهل الشام بعامة كانوا ينظرون إلى الأمير عبد القادر على أنه شخصية مميزة ويكنون له كل الاحترام، نظرا لعلمه وأخلاقه العالية وانتسابه للأشراف مما جعله أهم شخصية إسلامية، وقد أظهرت ردة فعل عامة الناس وكذا النُّخَب من دمشق وبيروت وفلسطين ومدنها مثل نابلس وغيرها تجاه مجيء الأمير إلى بلادهم واستقباله إستقبالا محترما يليق بشخصية مثله، لأنه بالنسبة لهم واحد من أبرز الزعامات الشعبية[4].

ب- وفاته:

في آخر أيامه مرض الأمير عبد القادر واعتلت صحته، وأصيب بعدة أمراض، وكان من أخطرها ورم في خصيتيه، مما جعل أُسرته تضعه تحت المراقبة الطبية، وكان إبنه محمد قد جلب إليه عدة أطباء الذين بذلوا ما بوسعهم لمعالجته من مرضه، وكان من بينهم طبيبا مختصا في الجراحة من بيروت وكان من أنجح وأمهر الأطباء حينها، وقدم للأمير العلاج المناسب لحالته فأحس حينها بنوع من التحسن، كما تمكن محمد إبنه من وضع برنامج للمتابعة الطبية خاص بوالده، يشرف عليه أطباء من دمشق، فكان فريق يتابع على حالته الصحية في الفترة الصباحية وآخرون في الفترة المسائية وهذا بشكل يومي، ويذكر محمد أن والده لم يكن يتعالج إلا بحضوره كما كان يرفض تناول الدواء إلا بوجوده إلى جانبه ايضا[5].

---

[1] عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص55-56.

[2] سهيل الخالدي، الاشعاع المغربي في المشرق دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام، دار الامة للطباعة و النشر و التوزيع، برج الكيفان-الجزائر، 2016، ص93.

[3] بلال الداهية، حكاية سورية، تلفزيون اورينت .

[4] تيسير خلف، حكاية سورية، تلفزيون أورينت.

[5] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص247.

وفي فترة مرضه كان الأمير مشغولا بالذكر فكان قويا، لم يكن يُظهر ألمه بل كان متشوقا للقاء المولى عز وجل[1] ولم يترك صلاته أبدا بل كان يؤديها في أوقاتها.

واستمر مرضه واستمر الأطباء في تقديم العلاج له لمدة 25 يوما إلى أن صعدت روحه إلى بارئها ليلة السبت 19 رجب 1300هـ الموافق ل24 ماي 1883م. وتمت الصلاة عليه بالمسجد الأموي، و تم دفنه في جنازة مهيبة بمقبرة الصالحية إلى جانب الشيخ محي الدين بن عربي [2]. وعقب وفاته عم الحزن دمشق والعالم العربي والإسلامي، و بدأت رسائل التعازي تصل إلى أهله كما رثته العديد من القصائد.

ج- نشاطات عائلة الأمير عبد القادر بالشام وخارجها:

لعب أبناء وأحفاد الأمير عبد القادر دورا بارزا في الشام وخارجها، ولعل من أبرز الأبناء نجد علي وعمر ومحمد ومحي الدين، والجدير بالذكر أن أبناء الأمير عبد القادر الذين يفوق عددهم العشرة، والذين إنقسموا بعد وفاة والدهم بين تابع ومؤيد للدولة العثمانية وهم محمد ومحي الدين وعلي، وبين تابع ومؤيد لفرنسا وهم عمر وأحمد وعبد الرزاق وعبد المالك الذي انقلب على الفرنسيين وحاربهم[3]. وكان محمد صاحب سيرة والده السيفية والقلمية، هو إبنه البكر وهو ماجعله مقربا من والده وقد لوحظ ذلك خلال مرض الأمير عبد القادر الأخير قبيل وفاته ، كان متأثرا بأفكار الجامعة الإسلامية، و هو من أبناء الأمير الذين إنحازوا إلى الدولة العثمانية وللسلطان العثماني عبد الحميد الثاني[4]، وقد خدم الأمير محمد باشا إبن الأمير عبد القادر ضمن الجيش العثماني وتمت ترقيته إلى رتبة جنرال[5] .

---

[1] أحمد بن محي الدين، المصدؤ السابق، ص135.

[2] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص247.

[3] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الطبعة الاولى، الجزء الخامس 1830-1854، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان،1998، ص551.

[4] تولى عبد الحميد الثاني السلطلة بعد خلع اخية مراد الخامس في 31 اغسطس 1876، الذي لم يدم حكمه الا ثلاثة أشهر،بسبب ما قيل عن اختلال في قواه العقلية، و كان دور الاصلاحي العثماني الكبير مدحت باشا اساسيا في تنصيب السلطان مراد وخلعه، ثم في اعلان عبد الحميد حاكما للسلطنة، على ان يتبنى اعلان الدستور و اقامة حكم برلماني و نجح الاصلاحيون في هذا الانقلاب الابيض الثاني، واعلن الدستور في 23 ديسمبر 1876، واجريت انتخابات على درجتين وأقيم مجلسان الأول للنواب والثاني للاعيان، الا ان هذه التجربة البرلمانية لم تكمل سنتها الاولى كما ان الاحرار الذين اوصلوا عبد الحميد ابعدوا وشردوا وقيل الكثير عن موت مدحت باشا. ينظر: هاني الهندي، الحركة القومية العربية في القرن العشرين دراسة سياسية، الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، اكتوبر 2015.

[5] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص552.

أما الأمير علي إبن الامير عبد القادر الذي كان صهرا لمولو العابد، وأسرة العابد هي إحدى الاسر الدمشقية ذات وزن وشأن، فقد مثل السلطات العثمانية عام 1900 و لعب دور الوسيط بين أهالي حوران والدروز أهل السويداء سادة جبل العرب حتى يطفىء نار الفتنة بين الطائفتين[1] كما كانت له بصمات جهاديه في ليبيا، حيث جاء في الكتاب الذي ألفه عدد من المؤلفين بإشراف إبنه الأمير سعيد أن الأمير علي لم يبق مكتوف اليدين أمام الإحتلال الكافر للبلدان الإسلامية، فعقد العزم على الجهاد، و بالمقابل حاول الأعداء وعلى رأسهم فرنسا إسكاته بشتى الوسائل وبقوا حذرين منه[2]. وكان للأمير علي محبة ومكانة عليا لدى سكان طرابلس الغرب والمراكشيين والجزائريين والتونسيين، وهو ما جعل الدولة العثمانية تستغل مكانته لصالحها[3]، حيث صادق مجلس الأعيان والنواب على إرسال الأمير علي إلى طرابلس الغرب لمحاربة المستعمر الإيطالي، وعند خروجه متوجها إليها كانت شوارع إسطنبول غاصة بالجموع التي جاءت لتوديعه[4].

سافر الأمير علي إلى مصر ثم إلى بنغازي وسرت فطرابلس الغرب بحيث دعا إلى الجهاد وكان يرافقه عدد من الضباط العثمانيين منهم مصطفى كمال الذي عرف بعدها بمصطفى كمال أتاترك و أنور باشا وكذا شكيب ارسلان[5]، وشارك في معركة جنزور على الساحل ضد الإحتلال الإيطالي في 26 مارس 1911 التي عاد فيها النصر إلى جيش الأمير علي[6]. ويذكر أن الأمير علي زار تونس عقب توقيع معاهدة الصلح بين الدولة العثمانية وإيطاليا، كما زار الجزائر ومكث بها يومين فقط، وخلال هه الزيارة قلدته الإدارة الفرنسية وسام جوقة الشرف[7].

---

[1] بلال الداهية، حكاية سورية، تلفزيون اورينت.

[2] مجموعة من الكتاب، علي بن الأمير عبد القادر ملك الاقطاع المغربية وسلطان الارباض الجزائرية، اشراف محمد سعيد بن علي، مطبعة الترقي، دمشق، 1918، ص20-22.

[3] نفسه، ص27-28.

[4] نفسه،ص30.

[5] ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص552.

[6] مجموعة من الكتاب، المصدر السابق، ص50.

[7] ابو القاسم سعد الله، نفسه، ص555.

فيما شقيقه الأمير عمر[1] كان له نشاطا مضادا للعثمانيين ولسياستهم في الشام، وقد إعتُبر من الخارجين عن القانون فأعدمه حاكم دمشق جمال باشا رفقة معارضين آخرين.

أما شقيقهم الامير محي الدين فتشير بديعة الحسني الجزائري في مقدمة كتابها وما بدلوا تبديلا أنه قام بثورة ضد الفرنسيين في الجزائر عام 1877 وهو تاريخ خاطىء، حيث يذكر ابو القاسم سعد الله أن محي الدين دخل الجزائر في سرية عن طريق تونس عام 1870 وهو الأصح سيما وأنه دخل قبيل قيام ثورة المقراني 1871، وأن رؤساء القبائل كانت تصلهم رسائل وانتشر الخبر الذي يفيد أن تلك الرسائل كانت تحمل ختم الأمير عبد القادر، مشيرا إلى أن هناك تساؤلات حول ما إذا كان الأمير محي الدين قد إتصل بالمقراني أو بابن الشيخ الحداد الشيخ عبد العزيز الذي جعل والده يعلن الجهاد ضد الفرنسيين، ليعود الأمير محي الدين إلى دمشق عام 1871 إثر الخسائر التي عرفتها المقاومة المسلحة في الجزائر[2]. وبالنسبة للأمير عبد المالك فقد عينه المخزن في الشرطة الشريفية وانطلقت مقاومته المسلحة للفرنسيين في1915 من منطقة تازة بعد أن نادى بنفسه أميرا لفاس ولم يضع السلاح حتى قُتل ببني تتزين بعد عشر سنوات من الجهاد[3].

بالنسبة لأحفاد الأمير الذين كانت لهم ادوارا بارزة، نذكر الأمير خالد بن الهاشمي الذي لُقب بأب الحركة الوطنية الجزائرية، والمولود بدمشق عام 1875. فبعد عام واحد من إنتقال الأمير خالد وأفراد أسرته إلى الجزائر في 1892، إلتحق بالكلية الحربية الفرنسية سان سير التي تخرج منها في 1896 برتبة ملازم، و نظرا لكفاءته العسكرية رُقي في 1908 إلى رتبة نقيب وتم تقليده وسام جوقة الشرف، وهذا عقب مشاركته ضمن كتيبته الصبايحية الأولى في إقليم الشاوية بالمغرب في 1907.وكان الأمير

[1] عمر بن الامير عبد القادر بن محي الدين الحسني الجزائري،أمير، مجاهد، من شهداء الحركة القومية في بلاد الشام، ولد ونشأ وعاش في دمشق، شارك في اكثر الاعمال القومية التي حدثت في ايامه. وسمي نائبا عن دمشق في مجلس النواب العثماني. واعتقله التركالعثمانيون في خلال الحرب العالمية الأولى، وحوكم، فحكم عليه بالاعدام شنقا، واعدم شنقا. ينظر: عادل نويهض، معجم اعلام الجزائرمن صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، الطبعة الثانية، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت-لبنان، 1400هـ/1980م، ص107.

[2] ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص58-60.

[3] سهيل الخالدي، المرجع السابق، ص214.

خالد قد وقف إلى جانب السلطان المغربي عبد العزيز في خلافه مع شقيقة عبد الحفيظ الذي تمكن من الإطاحة بأخيه معتليا كرسي الحكم[1].

مع مطلع القرن العشرين أنشأ الأمير خالد وشباب جزائريون خريجو المدارس الفرنسية حزب الجزائر الفتاة عام 1912 وشكلوا مجموعة ضغط سياسي، التي نادت بالإندماج والمساواة مع الفرنسيين، والسماح للجزائريين بالمشاركة في الانتخابات في المجالس المحلية.

وعقب إنتهاء الحرب العالمية الأولى شارك الأمير خالد ضمن وفد جزائري في مؤتمر الصلح بفرساي عام 1919[2]، أين تقدم بعريضة مطالب للرئيس الأمريكي ولسن، وفي 1922 أنشأ جمعية الأخوة الجزائرية والتي إنضم إليها جزائريون يمثلون مختلف الفئات الإجتماعية، وفي سنة 1924 وعقب تنشيطه لمحاضرة بفرنسا بحضور مهاجرين من دول المغرب العربي، أعلن عن قيام حركة نجم شمال إفريقيا[3]، كما كانت الصحيفة التي أسسها مع مجموعة من أصدقائه الإقدام 1919-1923 من أهم الجرائد الصادرة باللغة الفرنسية[4].

الأمير سعيد بن علي الحسني الجزائري، أحد أحفاد الأمير عبد القادر، لديه تاريخ حافل بالنشاطات خاصة السياسية منها في الشام، حيث ترأس في سنة 1915 جمعية مهاجري إفريقيا ، كما ترأس أيضا جمعية مجاهدي إفريقيا، الأخيرة التي كانت لها عدة أهداف تصب كلها حول ضرورة تخليص شعوب إفريقيا الشمالية من الهيمنة الإستعمارية إضافة إلى دعوتها وتأكيدها على الوحدة[5] ، كما تولى رئاسة الحكومة الوطنية المؤقتة بدمشق إثر خروج العثمانيين منها ، ورغم أن حكومته لم تعمر طويلا إلا أنها تمكنت من فرض السلم والأمن بربوع دمشق وهذا بمساعدة شقيقة عبد القادر وابن عم له وكذلك

---

[1] بسام العسلي، الاميرخالد الهاشمي الجزائري والدفاع عن الجزائر الاسلامية، الطبعة الثانية، دار النفائس، بيروت-لبنان، 1404هـ/1984م، ص94-97.

[2] المتحف الوطني للمجاهد، الأمير خالد [على الخط] متوفر على الرابط -http://www.museenat moudjahid.dz/Pages/lire%20suit%20khaled.htm

[3] بن الشيخ حكيم، التأطير الحركي للتيار الوطني في مسيرة الأمير خالد 1912م-1936م، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس بالتعاون مع مختبر البحث الجزائر تاريخ ومجتمع في الحديث و المعاصر، العدد الأول، جوان 2018، ص 97-104.

[4] الياس طلحة، تاريخ الصحافة المكتوب في بلدان شمال افريقيا ليبيا تونس الجزائر المغرب، المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية، مجلة دولية محمكمة، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الشهيد حمة لخضر الواد، العدد 14، ص185.

[5] سهيل الخالدي، المرجع السابق، ص219-220.

مناصروه من المغاربة، وترأس أيضا خلال فترة الإنتداب الفرنسي لجنة الدفاع عن مشروع خط الحديد الحجاز إسطنبول، ورغم دفاعه عنه إلا أن المشروع لم يعرف النجاح.

من إنجازات الأمير سعيد أيضا، تأسيسه لمجلة الوحدة الإسلامية التي صدر منها عددان فقط ببيروت لتوقفها بعد ذلك السلطات الفرنسية[1]، كما أشرف على تأليف كتاب حول تاريخ والده الأمير علي الحسني الجزائري. أما حفيد الأمير عبد القادر الشهيد عز الدين ابن محي الدين، فقد درس بدمشق ثم استكمل دراسته ببيروت، وبعد عودة أسرته من منفاها ببورصة إلى دمشق إلتحق بالمعهد الطبي العربي، وشارك في الثورة السورية الكبرى 1925 التي إندلعت بقيادة القائد العام للثورة السورية السلطان باشا الأطرش، وواجه الأمير عز الدين القوات الفرنسية ببسالة في معركة عين الصاحب التي سقط فيها شهيدا عام 1927.[2] و هناك أيضا من أحفاد الأمير عبد القادر ممن كان لهم أثرا في الميدان العلمي في سوريا، ويتعلق الأمر بعالم الآثار جعفر بن طاهر بن أحمد بن الأمير عبد القادر وهو رائد من رواد علم الآثار بسوريا وقد عين مديرا عاما للآثار بسوريا عام 1947.

[1] بلال الداهية، حكاية سورية، تلفزيون أورينت.

[2] ينظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص105.

الفصل الثالث: إسهامات الأمير عبد القادر في المشرق العربي

- المبحث الأول: إسهاماته الفكرية والاجتماعية والسياسية:
- المبحث الثاني: فتنة دمشق1860 ودور الأمير في إخمادها.
- المبحث الثالث: دور الأمير في اتمام مشروع انجاز قناة السويس وعلاقته بالماسونية.

الفصل الثالث: إسهامات الأمير عبد القادر في المشرق العربي:

المبحث الأول: إسهاماته الفكرية والاجتماعية والسياسية:

المطلب الأول: إسهاماته الفكرية والاجتماعية:

أ- إسهاماته الفكرية:

كان الأمير عبد القادر عالما جليلا، متبحرا في مختلف العلوم وملما بها، فنجد أنه كان متعمقا في الفلسفة والتاريخ والجغرافيا، واللغة وحتى علم الفلك والطب أيضا، كما كان مفكرا نبيها، وشاعرا من فطاحل شعراء عصره. وقد ساهم الأمير في النهضة الفكرية التي عرفتها منطقة الشام، خاصة من خلال تنظيمه لمجالس العلم التي كان يحضرها كبار العلماء والشيوخ، منهم تلميذه عبد الرزاق البيطار والطنطاوي وكذلك محمد الخاني، وتلقينه لتلاميذه الذين كان ينظم لهم دروسا في المدرسة الأشرفية التي درس بها صحيح مسلم وصحيح البخاري، وفي المدرسة الجقمقية التي درس بها كتاب الإتقان في علوم القرآن، والمدرسة الحقيقية وأيضا في المسجد الأموي أكبر مدرسة دينية حينها بدمشق، وأيضا ببيته بحي العمارة بدمشق، وقد بذل قصارى جهده في تلقين تلامذته مختلف العلوم. كما كان الأمير يلتقي شيوخ الدين الذين كانوا يزورونه في دمشق ويطرحون أمامه بعض المسائل التي يشكون فيها سيما تلك التي تتعلق بالأمور الفلسفية وذات العلاقة بالتصوف[1] كما كان يدير صالونا ثقافيا بدمشق[2]. وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن الأمير عبد القادر قد ساهم في استرجاع إحدى المدارس التي اشتراها رجل مسيحي والتي لم تعد تستقبل التلاميذ بل تحولت إلى مخمرة، وهو ماجعل أحد الشيوخ يدخل في خلاف مع الشاري إلى أن تدخل واشترى المدرسة بثمن باهض وأعادها لممارسة نشاطها العلمي[3].

وعن الحادثة ذاتها يذكر محمد بن عبد القادر أن الرجل المسيحي يانكو إستولى على الدار التابعة لمدرسة دار الحديث، ولم يقف عند هذا الحد بل أنه تطاول واستحوذ على زاوية من زوايا المسجد وخصصها لوضع الخمر، إلا أن أحد علماء دمشق وهو يوسف بدر الدين أقام الدنيا ولم يقعدها إحتجاجا على هذا الأمر، حيث سافر الى الأستانة وقدم شكواه بعد اللامبالاة التي وجدها من الحكومة المحلية، وبعد حصوله على قرار من السلطات العثمانية عاد إلى دمشق لكن الحكومة أهملت القرار أيضا

---

[1] مكي الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص3-4.

[2] الامير عبد القادر، الجزيرة الوثائقية.

[3] سهيل الخالدي، المرجع السابق، ص308.

وبقي وضع المدرسة على حاله، إلى أن تدخل الأمير عبد القادر الذي قام بشرائها وأوقفها على الشيخ يوسف بدر الدين المغربي وآخر يدعى علي عقبة، وخضعت المدرسة ووكذلك المسجد إلى عملية ترميم وبتمويل أيضا من الامير الذي شرع في تقديم دروسه فيهان وكان أول درس له بالمدرسة عينها يتعلق بصحيح البخاري[1].

خلَّف الأمير عبد القادر العديد من المؤلفات، منها ما كتبه أثناء أسره في فرنسا، وجزء آخر ألفه أثناء تواجده في الشام. ومن أبرز مؤلفاته التي ألفها بدمشق نجد كتاب المواقف، الذي يقول محققه بكري علاء الدين أنه ألفه إستجابة لطلب من علماء دمشق وأصدقائه، ويذكر أن الكتاب مؤلف من 372 موقفا جميعها في التصوف، مضيفا أن أهم مخطوطة تتوفر في ثلاث مجلدات هي تلك التي تتواجد بمتحف الجيش بالجزائر، وأنها من إهداء امل الحسني الجزائري عام 2005[2]. وهذا الكتاب ينفي عدد من أحفاد الأمير عبد القادر أن يكون جدهم هو من الفه، منهم بديعة الحسني الجزائري، التي تعْرِض في كتابها فكر الأمير عبد القادر الجزائري، تقرير الخبرة الفنية من الخبير في الوثائق هشام الغراوي، وتقرير مماثل من إنجاز خبير الخط أحمد الباري، حول صفحة من مخطوط المواقف المنسوب حسبها للأمير عبد القادر وهي الوثيقة المتعلقة بالموقف 180 والتي نشرتها مجلة مسالك، الصادرة عن مؤسسة الأمير عبد القادر، في عدد 20 جانفي-جوان 1998، وأكد تقريرا الخبرة أنه لا علاقة للخط بخط الأمير، ناهيك عن المضمون الذي لايمكن أن يكون له أيضا[3].

ويذهب حفيد الأمير عبد القادر، خلدون الحسني الجزائري إلى ما تذهب إليه قريبته بديعة، ويتكلم عن كتاب المواقف الذي جاء في ثلاث مجلدات وفي 1500 صفحة في علوم التصوف، ويتساءل عمَّن ألفه، مؤكدا أن الأمير ليس لديه حتى رسالة صغيرة في التصوف، ولم يكن لديه الوقت لكتابة مؤلف يحمل مثل هذا العدد من المجلدات والصفحات، ففي الجزائر كانت لديه مهمة عظيمة تتمثل في مقاومة الإحتلال الفرنسي، وفي فرنسا كان أسيرا، وفي بورصة لم يكن لديه الوقت للكتابة، وفي سوريا كان في مرحلة إنتقال جديد واستقرار جديد، ثم جاءت أحداث 1860 ومشاكل سياسية، وعدم

[1] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص75-78.

[2] بكري علاء الدين، الامير عبد القادر، الجزيرة الوثائقية.

[3] بديعة الحسني الجزائري، الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره فكر الأمير عبد القادر،الجزء الثالث، دار الوعي للنشر، رويبة الجزائر، ص177-198.

تفاهمه مع بعض العلماء والأعيان بالشام، ثم الهجرات الكبيرة للجزائريين إلى سورية وتكفله بالمهاجرين الذين كان يحمل إنشغالاتهم إلى السلطان العثماني باسطنبول لطلب مَنْحِ قطع أراضي في فلسطين أو في الجنوب السوري لهؤلاء المهاجرين ليستوطنوا فيها ويستغلونها، ولذا فإن الأمير عبد القادر لم يكن لديه الوقت لكتابة المواقف[1].

كما نجد من يشير إلى أن هذا الكتاب أو المواقف يحتوي على أهم ما كان يُلقى من قِبَل الأمير عبد القادر في المجالس العلمية التي كان ينظمها، حيث إستأذنه بعض العلماء والشيوخ وعلى رأسهم عبد الرزاق البيطار لكتابة ما يقوله في تلك المجالس، وهكذا تم تأليف كتاب المواقف[2]، وهو ما قد يُفَسِّر وجود إختلاف بين الخط الذي كتب به المواقف وبين خط الأمير عبد القادر في حالة ما إذا ثبتت صحة أصحاب هذا الرأي.

ويؤكد خلدون الحسني الجزائري أنه من بين مؤلفات الأمير التي كتبها في دمشق نجد كتابه ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، الذي خاطب فيه علماء ورجال الدين الفرنسيين، أكد لهم فيه أن الإسلام هو آخر الأديان، وأن الرسالة المحمدية هي آخر الرسائل السماوية، ومفروض عليهم أيضا الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وبرسالته، والكتاب إقْتَبَس فيه الأمير من كتب الفلاسفة المسلمين وعلى رأسهم أبي حامد الغزالي[3]. وحول هذا المؤلَّف سبق وأن أشرت إلى أن عدد من المؤرخين وعلى رأسهم ابو القاسم سعد الله يؤكدون على أنه قد تم تأليفه أثناء فترة أسره في فرنسا.

ويذكر تيسير خلف أن الأمير عبد القادر خصص وقتا كبيرا لقراءة مؤلفات محي الدين بن عربي، وأنه ساهم في تدقيق وتحقيق الكثير من مخطوطاته التي تركها، كما كان للأمير دورا كبيرا مع شيوخ آخرين في العمل على صدور مؤلفات هذا الشيخ، مضيفا أن الأخير الذي كانت لديه مكانة عند الأمير عبد القادر سيما وأن الإثنين قدما إلى الشام من غرب العالم الاسلامي إضافة إلى أن كليهما كان متصوفا[4]. وفي السياق ذاته نجد أن أحمد بن محي الدين، يذكر أنه وفي إطار المجهودات التي قام بها الأمير في سياق تحقيق مخطوطات إبن عربي، أن شقيقه كلف كل من الشيخين محمد الطنطاوي ومحمد الطيب بالذهاب

---

[1] خلدون الحسني الجزائري، الدكتور خلدون يتحدث عن مؤلفات جده الأمير عبد القادر[على الخط] قناة الجلفة انفو على اليوتيوب، متاح على الرابط https://www.youtube.com/watch?v=fCscPt5k0bM، أفريل 2010.

[2] احمد كمال الجزار، المرجع السابق، ص39.

[3] خلدون الحسني الجزائري، نفسه.

[4] تيسير خلف، حكاية سورية، تلفزيون أورينت.

الى مدينة قونية بعد تزويدهما بنسخة عن مخطوط الفتوحات المكية لابن عربي قصْد مقارنتها بالمخطوط الأم المدَوَّنِ بخط المؤلِّف وتصحيحها، وعادا بعد آداء المهمة بنجاح ، ليُنَظِّم الأمير عقب عدوة الشيخين مجلسا في بيته حضره بعض العلماء وقرأها عليهم[1]، وربما هذا ما يدل فعلا على تأثر الأمير عبد القادر بفكر محي الدين بن عربي عكس ما يذهب إليه البعض الذين ينفون هذا التأثر، سيما الذين ينكرون نسبة كتاب المواقف إلى الأمير ومنهم عبد الحق حميش الذي يرى أن الأمير عبد القادر لم يكن متأثرا بفكر بن عربي بل أنه كان متأثرا بالشيخ عبد القادر الجيلاني فقط، وأنه قد تم إتهامه بوحدة الوجود، فيما كان الأمير متصوفا ويسير وفق منهج ومبادئ الشريعة الاسلامية[2].

ب– إسهاماته في الجانب الإجتماعي:

كان الأمير عبد القادر من نابيذي الطائفية فكان لا يفرق في معاملاته اليومية بين مسلم او مسيحي أو يهودي، وقد تجلى ذلك خلال فتنة دمشق 1860، حيث دافع عن المسيحيين وتكفل بحمايتهم والحفاظ ما استطاع على أملاكهم ، كما آواهم في بيته ووفر لهم المأكل والمشرب، وهذا ما جعله يكسب حب جميع الطوائف ويحظى بمكانة عالية لديهم.

يذكر سعيد الحسني الجزائري حفيد الأمير أن جده ونظرا لدينه وعلمه فقد كان الناس يتحاكمون عنده، وكان يحكم بينهم بالعدل ووفقا للشريعة الإسلامية، كما لعب دورا في الأخذ بيد المهاجرين الجزائريين وتدخل لصالحهم لدى السلطات العثمانية التي منحتهم الأراضي لاستغلالها في الزراعة[3]. وكانت للأمير أعمالا خيرية كثيرة منها التصدق من أمواله على المحتاجين بسخاء كبير، وإطعام الفقراء كل يوم جمعة في بيته المتواجد بحي العمارة[4]. و أشير إلى انه وبعد إخماد فتنة دمشق تم إعدام العديد من المتسببين فيها وسجن البعض، وكذلك نفي عدة شخصيات إلى جزيرتي رودس وقبرص من طرف الوالي الجديد فؤاد باشا، الذي فرض غرامات على سكان دمشق أرهقت كاهلهم خاصة الفقراء منهم، مما جعل الأمير عبد القادر يتكفل ب15000 من فقراء مسلمي دمشق وضمهم إلى رجاله الجزائريين

---

[1] احمد بن محي الدين، المصدر السابق، ص132.

[2] عبد الحق حميش، اسهامات الأمير عبد القادر الفكرية وأثرها الحضاري والانساني [على الخط] الخبر، يومية جزائرية مستقلة شعارها الصدق والمصداقية، متاح على الرابط https://www.elkhabar.com/press/article/137009/إسهامات-الأمير-عبد-القادر-الفكرية-وأثرها-الحضاري-والإنساني/، 23 أفريل 2018.

[3] سعيد الجزائري، ذكريات، قناة أرشيف جزائري على اليوتيوب.

[4] سهيل خالدي، المرجع السابق، ص93.

حتى يعفون من تلك الضرائب، لأن المهاجرين الجزائريين تم إعفاؤهم من تلك الضرائب. كما أن الأمير عبد القادر كان يقدم إعانات مادية إلى دروز لبنان الذين هربوا إلى دمشق خلال فتنة الدروز والموارنة، وكان يقدم يد العون ماديا ومعنويا لضحايا الفتنة من كافة الطوائف، وتمكن الأمير من التدخل في قضية المنفيين لدى السلطان عبد العزيز فعفى عنهم وعادوا إلى بلادهم. إن هذه الأعمال جليلة وأخرى جعلت الامير عبد القادر يحظى بمكانة إجتماعية كبيرة جدا في المجتمع الدمشقي.

المطلب الثاني: إسهاماته السياسية واقتراح تعيينه ملكا على الشام:

أ– إسهاماته في المجال السياسي:

لم تكن للأمير عبد القادر إسهامات في المجال الإجتماعي والمجالات الفكرية العلمية فحسب في الشام، بل كانت له أيضا أدورا سياسية، حيث نجد أنه كان عضوا في المجلس البلدي لمدينة دمشق، مما مكنه من الوقوف على تهيئة الطريق الرابط بين مدينتي دمشق وبيروت، الذي جمع له الأموال من أجل تجسيد المشروع، نظرا لما يُحقِّقه هذا الطريق من فوائد في عدة جوانب ذات صلة بتحسين الإطار المعيشي لسكان دمشق ونظرائهم ببيروت. ولعل من بين أهم إيجابيات الطريق نجدها تتمثل في التقليل من تعب ومعاناة المسافرين بين دمشق وبيروت، إضافة إلى ربح الوقت، حيث أن قطع مسافة الطريق الرابط بين المدينتين حالة إنجاز المشروع الهام لن يستغرق وقتا طويلا، ناهيك عن الفوائد الأخرى التي تنجر عن تحقيقه حيث أنه يعود بالفائدة على الاقتصاد وانتعاش التجارة سواء في دمشق أو في بيروت وبينهما أيضا.

وفي السياق ذاته يشير عمار السهر إلى أن الأمير فعلا قد لعب أدوارا كبيرة في شتى المجالات، منها مشاركته في الحياة السياسية، ومما يدل على قوة الأمير وحنكته السياسية وفي تسييره وتنظيمه لرجاله، أوضح السهر أن الأمير كان تحت إمرته 1000 فارس وكان يتكفل بتجهيزهم وأيضا بقيادتهم، مضيفا أن الجانب الذي ركز عليه المؤرخون تركيزا كبيرا في هذا الشأن، هو أهم أدوار الأمير السياسية والمتمثلة فيما قدمه خلال فتنة دمشق أو طوشة النصارى[1]، التي قام الأمير خلالها –كما سنرى لاحقا– بمجهودات كبيرة، فكان يلتقي في خضم تلك الأحداث الدامية بشيوخ الدروز والعقلاء من أجل العمل على حقن الدماء، وكف يد الدروز وأيضا المسلمين والأكراد على تقتيل المسيحيين، وشغَّل آلَتُه الدبلوماسية أثناء محاولاته الحثيثة في زرع روح التآخي بينهم، كما تباحث مع والي دمشق حول كيفية

[1] عمار السهر، الأمير عبد القادر، الجزيرة الوثائقية.

الوصول إلى حل للمعضلة التي عرفتها دمشق والتي جعلتها تعيش في فوضى، واكتساها اللون الأحمر لفرط ما حدث فيها من سفك للدماء نتيجة للتقتيل والتنكيل، طالبا منه إمداده بالسلاح لتسليح رجاله بهدف توفير الحماية للمسيحيين، كما جمعه خلال أحداث الفتنة ذاتها لقاء بأعضاء مجلس الشورى بدمشق، هذا المجلس الذي خرج بقرارات هامة وصارمة لوضع حد لكل معتد على غيره. ونظرا لبروز دورالأمير عبد القادر في اخماد الفتنة تلقى النياشين ومختلف التكريمات من قبل ملوك وزعماء عدة دول وعلى راسها الاوروبية، ومن شخصيات سياسية وفكرية ومن جمعيات أيضا.مما يدل على أنه كان سياسيا محنكا ودبلوماسيا لا يشق له غبار ، ولأنه كان كذلك ونظرا لتمتعه بشخصية كاريزمية، فقد كان كثيرا ما يزوروه في بيته السياسيون وأعيان دمشق[1]، كما تمت الإشارة إلى أن الأمير قد لعب في هذه الأحداث دورا دبلوماسيا رائدا وهو ما تجلى من خلال تلك النشاطات والتحركات التي تم ذكرها آنفا كما سيتم الوقوف عندها بنوع من التفصيل لاحقا.

ب- إقتراح تنصيب الأمير ملكا على بلاد الشام:

عقب أحداث دمشق 1860 إكتسب الأمير عبد القادر سمعة طيبة واحتراما أكثر من ذي قبل، وذاع صيته أيضا و انتشر اسمه في مختلف بلدان العالم، وأصبح شخصية لها وزن أثقل مما كان عليه، ولذا فإن إسمه طُرِح في ديسمبر 1860 ليكون حاكما لسورية، وهو ما خرجت به الصحافة الفرنسية آنذاك، حسب ما أورده برونو اتيين، الذي أفاد بأن التباحث في أمر مستقبل سورية ومن يخلف أحمد باشا بعد أحداث طوشة النصارى بقي أمر التشاور فيه بخاصة بين طرفين إثنين ويتعلق الأمر بكل من فرنسا وبريطانيا، وتم تداول إسمين إثنين وهما الأمير عبد القادر وفؤاد باشا، وذلك دون علم الأمير عبد القادر، ليستقر الأمرعلى إسم فؤاد باشا، مع أنه كان هناك تقارير ورسائل سرية كانت متبادلة بين الفرنسيين والإنجليز تفيد بأن الأمير بالإمكان أن يتم تنصيبه واليا على دمشق فقط دون لبنان وتم تحديد المناطق التي ستكون تحت حكمه، لكن في الأخير لم يكن بالنسبة لهم الأمير كاختيار أفضل[2] رغم مواقفه التي أشادت بها الدول الغربية وعلى رأسها فرنسا وإنجلترا.

كان لبنان في القرن 19 حاضنة للأفكار الغربية، سيما وأن علاقة قوية كانت تربطه بالغرب فنجم عن ذلك بهذا البلد تأثرا واضحا بحضارة الدول الغربية، خاصة فيما يتعلق بما وصلت إليه فرنسا

[1] بلال الداهية، حكاية سورية، تلفزيون أورينت.

[2] برونو اتيين، المرجع السابق، ص322-328.

من تطور وتمدن وتحضر، مما جعل اللبنانيون المسيحيون منهم على وجه الخصوص يتأثرون وينبهرون بها، ناهيك عن الدور الذي لعبته المدارس الغربية والارساليات والحملات التبشيرية بكل من لبنان ودمشق في تغذية جيل جديد بأفكار غربية تَشَبَّع بها وتبناها أيضا ذلك الجيل وأكسبته أيضا وعيا سياسيا وغذَّت لديه روح القومية، وعليه بدأ البعض من المثقفين المسيحيين يفكرون في التخلص من الحكم العثماني سيما على عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وجدير بالإشارة أن المثقفين المسيحيين لم يتمكنوا من الثورة ضد هذا الحكم، سيما وأن المسلمين كانوا يؤيِّدونه باعتبار أن عامل الدين وهو الإسلام يجمعهم بالعثمانيين، فيما يجمعهم هم المسيحيون عامل العروبة فقط مع المسلمين، وعلى أساس اللعب على أوتار القومية العربية نجح المسيحيون في جلب عدد من المسلمين الذين كانوا ضد الحكم العثماني وضمِّهم إلى صفوفهم، وتمكنوا بذلك من تكوين حركات إستقلالية في سورية بداية من 1877[1]، بعدما بدأت الدولة العثمانية تفقد الكثير من قوتها، خاصة إثر حربها مع روسيا وخسارتها لنسبة كبيرة من الأراضي التَّابعة لها في أوروبا. وظهرت في الشام حركة إستقلالية في العام ذاته بعد أن خشيت عدة شخصيات، خاصة بعد التقدم الروسي ميدانيا خلال الحرب على حساب الدولة العثمانية، من أن تتعرض المنطقة إلى الاحتلال الأجنبي، وكان على رأس تلك الزعامات اللبناني أحمد الصلح الذي إنطلق نشاطه من بيروت، وبدأت عمليات التنسيق والتنظيم خلال إجتماعات سرية إحتضنتها اللاذقية وحمص وحماة مع شخصيات من بلاد الشام[2].

سافر أحمد الصلح مع عدد من الشخصيات بصيدا إلى دمشق واتصلوا بعدد من زعمائها، كما زاروا الأمير عبد القادر ببيته الصيفي بمنطقة دُمَّر، وبقوا في ضيافته لثلاثة أيام تبادلوا معه خلالها الافكار والحديث عن القضايا التي تهم الشام، وفي إحدى الإجتماعات السرية لزعماء الحركة الإ ستقلالية وعلى رأسهم أحمد الصلح، إقترح الأخير إسم الأمير عبد القادر ملكا على الشام، وهو الإقتراح الذي حظي بموافقة الحاضرين في الاجتماع[3]، وجاء في كتاب محمد جابر آل الصفا أن إجتماع دمشق السري الذي

---

[1] زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية،الطبعة04، دار النهار للنشر، بيروت، 1986، ص47-66.

[2] سركيس أبو زيد،العثمانية والعروبة والمشرقية ولبنان الكبير[على الخط] الأخبار، موقع اخباري تابع لشركة أخبار بيروت وفق رخصة لجريدة الأخبار التي تاسست في 1953، متاح على الرابط https://al-akhbar.com/Opinion/279006، الخميس 07 تشرين الثاني 2019.

[3] زين نور الدين زين، المرجع السابق، ص66-67.

أجمع فيه الحاضرون على أن يكون الأمير عبد القادر ملكا على سوريا، حضره من بين الشخصيات الهامة محمد الأمين وهو شريف حسيني وحضر ممثلا لجبل عامل كما حضر علي عسيران عن صيدا وغيرهما من الزعماء، وتكفل أحمد الصلح بنقل الخبر عقب الإجتماع إلى الأمير عبد القادر[1]. وقد وصلته عدة رسائل من شخصيات شامية تبارك إقتراحه ليكون ملكا على الشام، ومن بين تلك الرسائل رسالة مبايعة بعثها إليه أحد الشخصيات اللبنانية البارزة من روما وهو يوسف بن بطرس بن يوسف كرم. ورغم كل ذلك التأييد والإستعداد والمضي نحو مبايعة الأمير، إلا أن الظروف الدولية المحيطة آنذاك وتماسك الدولة العثمانية لم تسمح بتحقيق مشروع إعلان الأمير عبد القادر الجزائري ملكا على الشام[2].

هذا ونلاحظ إختلافا بين المؤرخين والمهتمين بالتاريخ حول رد فعل الأمير عبد القادر من إقتراحه ليكون ملكا على الشام، فنجد على سبيل المثال أن سركيس أبو زيد يذكر أن الأمير عقب الإجتماع واقتراحه ليكون ملكا على الشام قام بزيارات دعائية للعديد من المناطق بالشام، مما يوحي بأن الأمير عبد القادر وافق على العرض[3]، أما زين نور الدين زين فيذكر بأن الأمير إشترط لقبول المقترح أن تبقى بلاد الشام مرتبطة روحيا بالدولة العثمانية والسلطان العثماني خليفة للمسلمين، وعدم المطالبة بسقوط الخلافة العثمانية وأن يبايعه أهل الشام جميعا[4]. بلال الداهية بدوره يقول بأن الأمير عبد القادر رفض الأمر وأصر على أنه حتى يقبل بتولي هذه المهام فيجب أن يكون هناك إدارة حكم ذاتي تابعة للخلافة العثمانية[5]. أما بديعة الحسني الجزائري فتؤكد أن الأمير كان متفطنا لمؤامرات دول الغرب وعلى رأسها فرنسا لضرب الدولة العثمانية وتمزيقها ولذلك فقد رفض أن يكون ملكا للشام[6]، ويفهم من خلال ما جاء في كتابها أن الأمير رفض الأمر جملة وتفصيلا وأن رفضه كان رفضا قاطعا.

---

[1] محمد جابر آل الصفا، تاريخ جبل عامل، دار النهار للنشر، ص215.

[2] أحمد درويش، في صحبة الأميرين ابي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري، الكويت، 2000، ص186.

[3] سركيس أبو زيد، المرجع السابق.

[4] زين نور الدين زين، المرجع السابق، ص67.

[5] بلال الداهية، حكاية سورية، تلفزيون أورينت.

[6] بديعة الحسني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري، ص213.

المبحث الثاني: فتنة دمشق1860 ودور الأمير في إخمادها:

المطلب الأول: فتنة دمشق1860:

أ- بداية الفتنة من لبنان:

يذكر محمد كرد علي، أن الدولة العثمانية لم يكن يعجبها هدوء الأمور بالشام والعيش بسلام بين مختلف الطوائف، لأن ذلك لا يتوافق مع مصالحها، ولذا فقد كانت تعمل على إثارة الفتن بين الدروز والمسيحيين، وتدعم الطائفة الأولى على حساب الثانية في لبنان، ويشير إلى الأحداث التي وقعت بينهما، بداية من تجريد أتباع الدولة العثمانية ورجالها للنصارى من سلاحهم وتسليمه للدروز[1]. وهو نفس ما ذهب إليه ميخائيل مشاقة وهو نائب قنصل الولايات المتحدة في دمشق، الذي نجا بأعجوبة من الموت بعد تدخل رجال الأمير عبد القادر الذين أنقذوا حياته في خضم أحداث الفتنة بين المسلمين والدروز وبين النصارى في دمشق سنة 1860. وخلال عرضه لجذور الفتنة ذكر مشاقة أيضا أن نابليون الثالث بعدما أصبح إمبراطورا، عاد إلى المعاهدات القديمة للبحث فيها عن تلك التي تحتوي على بنود تسمح له بالتدخل عسكريا لحماية المسيحيين بالمشرق، وهي المعاهدات التي تمت المصادقة عليها من قبل الدولة العثمانية خلال سنوات خلت، وعرض على الدولة العثمانية تجديد معاهدة حماية موارنة لبنان، فوافقت على الطلب لكن موافقتها كان يكتنفها الغموض، وطالب قيصر روسيا أيضا بدوره السماح له بحماية المسيحيين الأرثوذكس في المنطقة، إلا أن الدولة العثمانية تجاهلته رغم إلحاحه في الطلب، ودخل الطرفان في حرب ضروس، وتدخلت فرنسا وبريطانيا لصالح الدولة العثمانية ليس حبا فيها وإنما لإدراكهما بأن سقوطها سيشكل خطرا على أوروبا. وبعد إنتهاء تلك الحرب حصلت روسيا على إمتيازات، وتمكن قيصر روسيا من جعل الدولة العثمانية تقبل بالمساواة في الحقوق بين المسيحيين والمسلمين، إلا أنها لم تطبق ذلك، فاشتكى القناصل من سوء معاملتها للمسيحيين مما جعل السلطات العثمانية تقرر القضاء على المسيحيين حتى لا يجلبوا لها المتاعب وأنظار الدول الأجنبية [2]. وعن النقطة المتعلقة بالإصلاحات يرى غسان كرياكي أن الإصلاحات التي قام بها السلطان العثماني عبد المجيد بعد حرب القرم التي إندلعت نتيجة لعدم التفاهم فيما يتصل بأحقية إدارة الأماكن الدينية المسيحية في فلسطين والتي إنهزمت فيها روسيا أمام الدولة العثمانية وفرنسا وإنجلترا، وإرضاءً للدولتين

[1] محمد كرد علي، خطط الشام، الطبعة 02، الجزء 03، مكتبة النوري دمشق-سوريا، 1403هـ/1983م، ص74.

[2] مخائيل مشاقة، مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، طبع بمصر، 1908، ص154-155.

اللتين ساعداتاه خلال حربه ضد قيصر روسيا، رأى أنه لابد من إجراء إصلاحات عام 1856 لفائدة مسيحي المشرق، فأصبحو بموجب ذلك يتمتعون بحقوق كاملة مثلهم مثل المسلمين[1]، وهو الشيء الذي إمتعض منه المسلمون.

كانت بداية الفتنة بين الدروز والمسيحيين بعدة مناطق بلبنان كرد فعل على الإمتيازات الكبيرة التي منحها أمراء شهابيين لأصحاب المال من الموارنة، فأصبحوا بذلك يتحكمون في الإقتصاد وأضحوا هم الآمرين الناهين بعد تمكنهم من الكنيسة والسيطرة عليها بموالين لهم، فأصبح لهم نفوذا كبيرا وهذا منذ دخول إبراهيم باشا إبن محمد علي والي مصر لبنان خلال تمرد والده ومحاربته للدولة العثمانية، وكان إبراهيم باشا هو من سهل للموارنة طريقهم إلى امتلاك إراضي كثيرة بلبنان لكونه حليف فرنسا[2]، و كانت القطرة التي أفاضت الكأس هي طرد فلاحي كسروان للإقطاعيين الموارنة عام 1859 من المنطقة، وبتحريض من الكنيسة شرعوا في التحضير لفعل الشيء ذاته مع الإقطاعيين من الدروز[3] فكانت الفتنة. ففي 30 أوت 1859 إعتدى الدروز على المسيحيين في قرية بيت مري بإيعاز من والي صيدا خورشد بك الذي كان يُزوِّد الدروز بالسلاح ، وقاد يوسف عبد المالك الشيخ الدرزي إعتداءات على ثلاثة قرى فتم قتل المسيحيين الموارنة بها والإستيلاء على ممتلكاتهم. ويُظهر مشاقة كثيرا من العاطفة في شهادته مما جعله غير موضوعي إضافة إلى حقده الظاهر على المسلمين، حيث يذكر أن "المسلمين" بدمشق عند سماعهم بأمر تقتيل المسيحيين من قبل الدروز، إستعدوا هم أيضا للقيام بأعمال مماثلة معادية للمسيحيين. وفيما يتعلق بخورشد باشا والي صيدا، فان مشاقة يؤكد بأنه نظم إجتماعا في شتاء 1860 جمعه بزعماء دروز أمرهم خلاله بالإستعداد للقضاء على المسيحيين، وهو ما باشره الدروز بالفعل، وبأن والي صيدا تلقى في أفريل من السنة ذاتها أمرا من السلطان العثماني بالقضاء على المسيحيين وهو

---

[1] غسان كرياكي، مذبحة المسيحيين في دمشق [على الخط] مرصد الشام، موقع الكتروني تابع لمركز الدراسات المستقبلية وهي مؤسسة مستقلة متخصصة في اصدار المعلومات وعمل دراسات، وبحوث في كل المجالات بالشام، متاح على الرابط http://www.chamobserver.org/?p=2021، 15 أفريل 2015.

[2] كاظم ياسين العاملي، تاريخ العلاقات الموارنة بجيرانهم من الفتح الإسلامي إلى الحرب الأهلية، الطبعة الأولى، دار الوسيلة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت–لبنان، 1415هـ/1994م، ص59–60.

[3] رسلان عمر، ما هي خفايا طوشة النصارى؟، [على الخط] موقع شبكة جيرون الاعلامية، مرتبطة بمركز حرمون للدراسات المعاصرة و احد مشروعاته تهدف التنمية الادراك السياسي والفكري، متاح على الرابط https://www.geiroon.net/archives/141144، 21 نوفمبر 2018.

الأمر الذي إطلع عليه آل جنبلاط وهم من زعماء الدروز الذين أخذ شيوخهم يستعدون للشروع في إنجاز المهمة، مستعرضا كيفية نجاة شقيقيه من المذابح التي إستهدفت قرية دير القمر بمساعدة صديق لعائلة مشاقة من آل جنبلاط ذاتهم وهو سعيد بك، بعد أن أخذهما ومسيحيين آخرين معه إلى منطقة المختارة بجبل لبنان.

وظل التقتيل والتنكيل بالمسيحيين العزل متواصلا من قبل الدروز والجنود العثمانيين على مدار ثلاثة أيام كاملة وقد بلغت حصيلة القتلى2000 قتيل خلال تلك المذبحة، ولم ينج منها إلا قلة قليلة من الذين لجؤوا إلى أصدقاء لهم من الدروز، ناهيك عن أعمال الإغتصاب التي تعرضت لها النسوة على يد الجنود العثمانيين[1]. كما جرت فظائع أيضا بقرية حاصبيا التي قتل فيها724 مسيحيا و40 رجلا من الدروز و الجنود العثمانيين الذين قُتلوا بنيران صديقة خطأ، ثم جاء دور مسيحيي قرية راشيا الذين أبيدوا ونهبت بيوتهم وبلغ عدد الضحايا بها 500 قتيل من الجنسين وبمختلف فئاتهم العمرية. أما الدروز بمنطقة حوران فقد قادهم إسماعيل باشا الأطرش ، في عملية تقتيل للمسيحيين بمنطقة زحلة، التي إستعصت عليهم في الأول ، لكن بعد خطة جهنمية من الدروز الذين رفعوا أعلاما لمسيحيي شمال لبنان وظن السكان الزحلاويون أنهم فعلا رجال من مسيحيي الشمال، ولذا فقد تمكن الدروز المدَعَّمين بجنود عثمانيين من دخول زحلة فأخذوا يُقَتِّلون سكانها على مدار يومين ونهبوا البيوت وحتى الكنائس والأديرة، واغتُصِبت الراهبات من قبل الجنود العثمانيين[2]. وكرد فعل على ماجرى من تقتيل وانتهاك للحرمات قام قناصل الدول بإرسال تقارير مفصلة حول الحوادث التي شهدتها عدة مناطق من لبنان، وكرد فعل طالبت الدول الأوروبية وعلى رأسها فرنسا الدولةَ العثمانية بإمضاء معاهدة، لكن الدولة العثمانية تماطلت في الإجابة، بل أنها راحت تحرّض على قتل المسيحيين الذين يشكل وجودهم في الشام ذريعة لتدخل الدول الأوروبية في الشؤون العثمانية[3] حسب ماذكره القنصل مشاقة في شهادته.

ب- فتنة دمشق أو طوشة النصارى 1860:

أدت الإصلاحات السابقة الذكر والتي أقرتها الدولة العثمانية عام 1856 والتي تنص على المساواة بين المسيحيين والمسلمين إلى إرتياح كبير وسط المسيحيين بعد أن كانوا مقيدين. ويذكر مشاقة في

[1] ميخائيل مشاقة، المصدر السابق، ص157-158.

[2] محمد كرد علي، المرجع السابق، ص80.

[3] مخائيل مشاقة، المصدر السابق، ص168-169.

شهادته أن المسلمين كانوا يعتبرون المسيحيين عبيدا لايمكن أن تمنح لهم الحرية، لكن تلك الإصلاحات سمحت للمسيحيين بالإستفادة من عدة حقوق حُرموا منها سابقا، منها الحق في الحصول على وظائفَ كانت حكرا على المسلمين، مما جعل المسيحيين يتصرفون برعونة وعنجهية بتحديهم حتى للقوانين، عكس ما كانوا يبدونه من قبل من خضوع، وهذا ما أدى إلى تنامي روح الطائفية بينهم وبين المسلمين[1]، وقد إنتقد مخائيل مشاقة ردود فعل وتصرفات المسيحيين حيث يرى أنه كان عليهم ألا يقبلوا بإعفائهم من الخدمة العسكرية مقابل دفعهم ل50 ليرة، فيما المسلمون كانوا يدفعون مائة ليرة مقابل عدم أدائهم لهذا الواجب، وأنه كان عليهم إدراك خطة الدولة العثمانية التي أرادت من وراء ذلك خلق فتنة بين المسلمين والمسيحيين، وأن الحقوق التي منحت للمسيحيين خلقت سخطا كبيرا وتذمرا لدى المسلمين مما جعل الدولة العثمانية تنتهز الفرصة وتطالب أحمد باشا بالتخلص من المسيحيين، فقام الوالي بمطالبة أغنيائهم بدفع أموالا نيابة عن كل المسيحيين الرافضين أداء الخدمة العسكرية، وسجنهم بعدما عجزوا عن دفع تلك المبالغ الضخمة، و ماكان من أهاليهم إلا أن توجهوا نحو البطريرك الذي شعر بالخوف وأخبر الوالي بأنهم نظموا وقفة إحتجاجية، فنصب أحمد باشا المدافع أمام الجامع الأموي بحجة خوفه على المسلمين من رد فعل المسيحيين، مما ضاعف حقد المسلمين على المسيحيين[2]، وخرجت حينها فتاوى تبيح قتل المسيحيين الممتنعين عن دفع الجزية، وأُخذت الفتوى ذريعة من بعض المسلمين للإنتقام من المسيحيين، فبدأت التحرشات ضد مسيحيي دمشق واللاجئين إليها هربا من الأحداث في لبنان، وكانت هذه التحرشات صادرة عن بعض المسلمين المتعصبين وبعض الأكراد وعدد من الدروز الذين إنتقلوا من لبنان إلى دمشق للإنتقام من المسيحيين وللنفث في نار الفتنة بها مواصلة للفتنة التي حدثت في بلدهم، في ظل الموقف السلبي لوالي الشام أحمد باشا .

[1] غسان كرياكي، المرجع نفسه.

[2] مخائيل مشاقة، المصدر نفسه، ص169-171.

المطلب الثاني: مجهودات الأمير عبد القادر في إخماد الفتنة:

ا- موقف الأمير من الفتنة الطائفية وتصديه للمشاركين في مذبحة دمشق:

بدأت الأمور تتعقد في دمشق خاصة بعد الفتوى الصادرة عن مفتي المسجد الأموي، وبدأت بوادر الفوضى تلوح، مما جعل القناصل يجتمعون ويجمعون على ضرورة تدخل أحمد باشا الذي لم يحرك ساكنا أمام تلك الأوضاع التي كانت تزداد تعقيدا، خاصة بعدما قام الدروز ومسلمي دمشق بقطع الطرق أمام المسيحيين الذين أصيبوا بالهلع، ولم يتمكنوا من الخروج من الأماكن التي كانوا بها، ولا حتى من العودة إلى أهلهم بالنسبة لمن كانو خارج بيوتهم، فطالب القناصل بلقاء مع الوالي إلا أن الأخير طلب منهم تعيين ممثل عنهم للقائه، فتم تفويض قنصل اليونان الذي لام أحمد باشا عند لقائه به مُحمّلا إياه مسؤولية ما يحدث من فتن[1].

كان الأمير عبد القادر على دراية بما يحدث في لبنان، وقد راسل شيوخه من الدروز طالبا منهم العمل على إتقاء الفتنة، وكان بالموازاة يخشي من أن تنتقل الفتنة إلى دمشق، بعد الأحداث الأخيرة التي شهدتها، سيما بعد أن قامت مجموعة من الصبية المسلمين برسم الصليب على أوراق ورميها في الشوارع ووضعها مع القاذورات، وأمام هذه التطورات التقى الأمير عبد القادر بوالي الشام وأخبره عن مخاوفه مما يجري في دمشق ومن العواقب التي قد تؤول إليها الأمور جراء مايحدث، وأيضا في ظل الإتصالات التي كانت بين الدروز وبعض مسلمي دمشق للقضاء على المسيحيين بها، لكن الوالي طمأن الأمير بأن ما يصله لايتعدى كونه شائعات فقط. وحاول الأمير في خضم ذلك تهدئة الأمور فالتقى بشيوخ الدروز وحثهم على إيقاف الفتنة في لبنان، ناصحا إياهم بضرورة إحكام العقل والتفكير بحكمة، معربا لهم عن إنزعاجه من تلك الإتصالات التي تجري بين بعض مسلمي دمشق و دروز لبنان بهدف نقل الأحداث إلى دمشق، لكن المشايخ طمأنوه وأكدوا له أن ذلك لن يحدث في دمشق[2].

ويذكر مخائيل مشاقة أن المسيحيين لم يجدوا مفرا لهم إلا اللجوء إلى الأمير عبد القادر أمام تحرشات الدروز والمسلمين بهم، وبالفعل فقد تمكن الأمير بمساعيه الحثيثة من تهدئة الأوضاع في دمشق، فَفُتحت الأسواق وتمكن المسيحيون من فتح محلاتهم والعودة إلى مصانعهم، كما عاد كتاب الدواوين إلى وظائفهم، لكن ذلك لم يدم طويلا، فعقب الأمر الذي أصدره أحمد باشا بإخراج مسجونين مسلمين

[1] مخائيل مشاقة، المصدر السابق، ص172.

[2] محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر السيرة القلمية، ص93-94.

مدانين مقيدين والطواف بهم في شوارع دمشق زاد الإحتقان وعَظُم كره المسلمين للمسيحيين أكثر، وتمكن البعض من تحرير هؤلاء المسجونين[1]، و هنا بدأت الأحداث في دمشق تعرف منعرجا خطيرا، فحدثت صدامات عنيفة بين المسلمين الذين إنضم إليهم الدروز وبين المسيحيين الذين كانوا قلة مقارنة بالفريق الأول، وتمت أيضا محاصرة عديد القنصليات منها الفرنسية والأمريكية[2]، إضافة إلى الروسية والنساوية والبلجيكية[3]، وكذلك حوصرت مقرات البعثات التبشيرية المسيحية الكاثوليكية والبروتستانتية التي كانت قريبة من حي دومة أو الحي المسيحي[4]، وتم تقتيل المسيحيين في بيوتهم وفي الكنائس واغتصبت الراهبات في الأديرة، وهوجم مستشفى الجذام وقتل المرضى بداخله، فاجتمع الأمير عبد القادر بأحمد باشا و أعضاء مجلس الشورى، وخرجوا بقرارات تدين قتل المسيحيين وتؤكد على وجوب وضع حد للمهاجمين، مما دفع بأحمد باشا بعد اللقاء إلى أن يطلب من الأمير عبد القادر إلغاء القرار المتعلق بمحاربة الثائرين ضد المسيحيين[5]. وفي سياق متصل يعرض برونو آتيين جزءا من تقرير القائم بأعمال القنصلية الفرنسية في دمشق مؤرخ في 19 جوان 1860 الذي يشير فيه إلى نوايا أحمد باشا إتجاه المسيحيين وهي بالتأكيد ليست نوايا طيبة، وهو ما اكتشفة أعيان دمشق، ويكشف القائم بأعمال القنصلية في تقريره أن هذه المعلومات زوده بها الأمير عبد القادر شخصيا، الذي ما إن علم بالتهديد الذي يواجه المسيحيين حتى زاره وأكد له أنه في الخدمة[6]. فيما نجد تشرشل يذهب إلى عكس ما جاء به برونو، إذ يؤكد تشرشل أن أحمد باشا كان فعلا يتفق مع الدروز للقضاء على المسيحيين، إلا أن الأمير عبد القادر لم يكن لديه علم أو أدنى فكرة حول تورط الباشا أحمد في هذه المؤامرة مع الدروز[7].

---

[1] مخائيل مشاقة، نفسه، ص174-175.

[2] طاعة سعد، المرجع السابق، ص45.

[3] شعبان ياسين، الأمير عبد القادر أمير المقاومة ورئيس الدولة الحديثة وراعي القيم الانسانية [على الخط] رأي اليوم، صحيفة عربية مستقلة، متاح على الرابط https://www.raialyoum.com/index.php/شعبان-ياسين-الأميرعبد-القادر-الجزائر/، 30 نوفمبر 2020، 13:32.

[4] نقل رفات الأمير عبد القادر، موسوعة سورية السياسية[على الخط] سلسلة وثائقية توثق تاريخ سوريا الحديث من اعداد محمد منصور، تلفزيون أورينت، متاح على الرابط https://www.youtube.com/watch?v=Pu81nf-RxZg، 2 نوفمبر 2018.

[5] مخائيل مشاقة، المصدر السابق، ص175-176.

[6] برونو أتيين، المرجع السابق، ص314.

[7] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص281.

لم يجد الأمير عبد القادر بدا من التدخل لتوقيف سفك دماء الطرفين، وتوقيف الفتنة التي إشتعلت في دمشق والتي قُتل خلالها المسيحيون بأعداد كبيرة والمسلمون والدروز وإن كانت أعدادهم أقل بكثير، وتوجه الأمير إلى حي النصارى بدمشق فوجده يغرق في فوضى عارمة، ولما عجز عن صد مهاجمي الحي وتوقيفهم عن تنفيذ جرائم القتل، شرع في إنقاذ المسيحيين ونقلهم إلى بيته وكان من بينهم بعض القناصل، وطَالَب الأمير عقب ذلك من الباشا السماح بتسليح رجاله وهو ما تم بالفعل في ثاني يوم من الاحداث[1]، وكان قرار الأمير النبيل والمتثل في تجنيد رجاله لحماية المسيحيين مسألة أطهرت نبل أخلاقه، وقد عُرف عن رجاله أنهم أكفاء شجعان ولديهم أيضا خبرة في الحرب ولا يهابون المنية، فخرجوا لحماية المسيحيين من بطش المتعصبين من المسلمين والدروز، وأخذ الأمير يجمعهم في بيته حتى يوفر لهم الأمن، وكان خلال ذلك يوجه نداءات للمسلمين بأن يتوقفوا عن قتل المسيحيين[2] لأن الدين الإسلامي يحرّم قتل النفس بغير حق، وسارت عدة شخصيات على منوال الأمير عبد القادر مثل عمر آغا العابد وصالح آغا عاشور، فكانوا يغيثون المسيحيين فيجلبونهم معهم الى بيوتهم ويوفرون لهم المأكل والمبيت.

في ثالث يوم من الفتنة أقدم بعض ضعاف النفوس من المسلمين والدروز على محاصرة بيت الأمير وشرعوا في إطلاق الوعيد بأنه إن لم يسلمهم المسيحيين فإنهم سيهاجمون بيته ويَفْتِكُون بكل من في بيته مسيحيين وأفراد عائلته، فخرج إليهم مهددا إياهم بأنه سيعطي أمرا لرجاله بإطلاق النار عليهم إن لم يتراجعوا ويرحلوا وأنهم لن يلوموا بعدها ألا أنسفهم، فخافوا وتراجعوا[3]. والملفت في الموضوع هو ماذكرته بديعة الحسني حول إلقاء القبض على مجموعة من هؤلاء المهاجمين، والذين كان من بينهم رجال من مسيحيي لبنان، وهو ما جعل الأمير يسأل أحدهم باستغراب عن سبب مشاركتهم في الأحداث، ليجيبه بأن السبب يتمثل في العمل على زعزعة الإستقرار حتى تزول وتسقط الدولة العثمانية، وأن فرنسا هي من سيساعدهم في الإلتحاق بركب الحضارة[4].

---

[1] محمد بن عبد القادر، السيرة القلمية، ص93-94.

[2] محمد شاطو، التسامح الاسلامي المسيحي من خلال مسيرة المير عبد القادر الجزائري 1832-1883م، الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلية محكمة دوليا نصف سنوية، المجلد10، 01 جوان 2019، ص393.

[3] مخائيل مشاقة، المصدر السابق، ص176.

[4] بديعة الحسني الجزائري، وما بدلوا تبديلا، ص204.

إكتظ بيت الأمير بالمسيحيين ولم يعد يتسع لأي شخص إضافي، فطلب من جيرانه المقربين أن يساعدوه على إيواء عدد منهم في بيوتهم، وأمام العدد الهائل من المسيحيين رأى الأمير أن يأخذ من لم يجدوا لهم مكانا في بيته الذي امتلأ عن آخره وحتى بيوت جيرانه، أن يأخذهم إلى القلعة العثمانية، إلا أنهم رفضوا ذلك خشية أن يتم البطش بهم، وأمام تطمينات الأمير وقيامه بوضع حراس جزائريين على أبواب القلعة دخلها المسيحيون[1]. وفي خامس يوم من الأحداث أمرت السلطات العثمانية بفصل الرجال عن النساء داخل القلعة، في انتظار إلتحاق الدروز بالجنود العثمانيين لتنفيذ مخطط جهنمي يتمثل في القضاء على الرجال واغتصاب النسوة بعد فصل الجنسين عن بعض، إلا أن تَفطُّن الأمير إلى الأمر حال دون حدوث الجريمة[2]، وتجدر الإشارة هنا إلى أن فرنسا وعلى إثر أحداث الفتنة بكل من لبنان ودمشق أرادت التدخل بحجة حماية المسيحيين، ويقول حفيد الأمير عبد القادرالأمير سعيد بن علي بأن أحد جنرالات فرنسا الذي كان يتأهب لدخول الشام إتصل بجده طالبا منه الخروج وأهله من الشام لأنه يستعد لضربها من جبل قاسيون، فخرج إليه الأمير والتقاه على بعد 60 كلم من دمشق وأخبره أن السلطات العثمانية قامت بواجبها وأعدمت من تسبب بالفتنة، وأنه ليست هناك من أسباب تجعل الفرنسيين يتدخلون لحماية المسيحيين في الشام، مؤكدا لهذا الجنرال أنه كما فرض عليه واجبه الديني الإنتصار للمسيحيين وحمايتهم كما تقتضيه الشريعة الإسلامية في احداث دمشق الدامية، فإن دينه يفرض عليه أيضا واجب الدفاع عن الشام، فما كان من الجنرال إلا أن يعود أدراجه من حيث أتى[3].

ب- علاقة أحداث طوشة النصارى بتجارة الحرير:

على إثر إصدار الدولة العثمانية للتنظيمات، بدأت تتكون علاقة تجارية بين الدول الأوروبية والتجار المسيحيين واليهود بدمشق، وبموجب هذه العلاقة زيادة على الحصانة التي كان يتمتع بها هؤلاء التجار زادت ثرواتهم، وهذا على حساب التجار المسلمين الذين إضطروا لاقتراض الأموال من التجار اليهود والمسيحيين، ومازاد من تأزم الوضع هو سماح الدولة العثمانية خلال 1857-1858 للأوروبيين والتجار ورجال الأعمال اليهود والمسيحيين بشراء الاراضي بدمشق، وقد وجد الدمشقيون المسلمون في

[1] مخائيل مشقة، المصدر السابق، ص180.

[2] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص285.

[3] سعيد الجزائري، ذكريات، قناة أرشيف جزائري على اليوتيوب.

هذا القرار حلا للتخلص من الديون التي عليهم[1]، وكانت دمشق تتمتع بصناعة مزدهرة سيما فيما يتعلق بالمنسوجات الحريرية التي كان مركزها الحي المسيحي أو حي القيمرية، وكانت فرنسا تستورد هذه المنسوجات من سورية، وفي أربعينيات القرن التاسع عشر أصيبت دودة القز بالعدد من دول العالم منها الصين المصَدّر الأساسي للحرير إلى فرنسا بمرض، مما جعل إنتاج الحرير يتضاءل كثيرا وحدثت خسائر مادية نتيجة لهذا المشكل، منها إلتهاب أسعار هذه المادة، وهو ماجعل فرنسا التي كانت أيضا تستورد جزءا من الحرير من سورية، وخوفا من أن تصبح الأخيرة قوة إقتصادية ومنافسا قويا خاصة في مجال إنتاج أجود المنسوجات الحريرية[2]، بدأت فرنسا تخطط لضربها وراحت تحضر للمذابح التي جرت بكل من دمشق ولبنان، وفي مناطق معينة دون غيرها وبث الشائعات من أجل ضرب الإقتصاد السوري، باستعمال متآمرين معها وبعض الجهلة من المسلمين[3]، ومن هنا نلاحظ أن بعض الباحثين يرون بأن إستهداف أماكن معينة دون غيرها في فتنة 1860 وعلى رأسها حي القيمرية، كان بإيعاز من فرنسا وحتى من دول غربية أخرى أيضا، حتى تتمكن من توجيه ضربة قاضية لتجارة الحرير التي تراجعت في الصين وفرنسا وفي دول أخرى فيما بقيت بالمقابل مزدهرة بسورية حينها.

ج– الأمير عبد القادر يُكرَّم نظير موقفه الإنساني:

أمام الموقف النبيل والشهم الذي إتخذه الأمير عبد القادر بوقوفه إلى جانب الحق، وإنصاف وحماية المسيحيين، مع أنه ليس على دينهم، لم يجد الأمير إلا كل الإحترام والتقدير من قبل الدول الغربية وحتى الإسلامية ومن جمعيات وشخصيات دينية وسياسية وفكرية، حيث أعربت عن تقديرها الكبير له ولمجهوداته التي بذلها في سبيل توقيف الفتنة، وبدأت تصل الأمير عبد القادر الرسائل والأوسمة والهدايا، سيما من الدول الغربية تكريما له، وهذا عقب إنتهاء الأحداث الدامية التي عرفها لبنان ودمشق، فقد قلدته الدولة العثمانية الوسام المجيدي مرتبة أولى، كما أهدته فرنسا وسام الشرف من الدرجة الأولى مرفوقا برسالة شكر كتبها وزير خارجيتها، وروسيا بدورها كرمته بإهدائها له صليب النسر الأبيض الكبير وهي رتبة أعظم فرسان بالإمبراطورية الروسية ، وأهدت له بروسيا صليب النسر الأحمر الكبير، أما

[1] غسان كرياكي، المرجع السابق.

[2] رسلان عامر، المرجع السابق.

[3] الياس بولاد، ورقة بحث حول احداث 1860 في لبنان ودمشق [على الخط] الحوار المتمدن، موقع الكتروني تابع لمؤسسة الحوار المتمدن تهدف الى تحقيق مجتمع مدني علماني ديمقراطي، متاح على الرابط https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=47213، 06 أكتوبر 2005، 11:41.

اليونان فتمثلت هديتها للأمير في صليب المنقذ الكبير، أما أمريكا فقد كانت هديتها عبارة عن بندقيتين بفوهتين مرصعتين بالذهب الخالص، كما وصلته بندقية بفوهة مطعمة بالذهب من الملكة فكتوريا ملكة بريطانيا وإيرلندا[1]. وتؤكد بديعة الحسني بأن فرنسا وإنجلترا كانتا السباقتين في تكريم الأمير عبد القادر حتى تبعدا عنهما الشبهات[2]، وربما تقصد الكاتبة أن الدولتين كانتا متفقتين على ضرب فرنسا لدمشق من جبل قاسيون كما سبق ذكره، وأن كل من فرنسا وإنجلترا كانتا وراء إشعال نار الفتنة، والمعروف أن فرنسا دعمت الموارنة فيما إنجلترا دعمت الدروز مما أجج نار تلك الفتنة، وحتى تبعد الدولتان الغربيتان شبهة تورطهما في إرتكاب تلك الجريمة بادرتا إلى تكريم الأمير حتى يعتقد المسيحيون بخاصة وغيرهم من الطوائف في الشام أنهما كانتا تروما ن السلم بالمنطقة وأنهما ضد ما جرى فيها من فتنة. كما أرسل له ملك إيطاليا فيكتور إيمانويل الثاني الوسام الأكبر أقدم نيشان في الفروسية والمتمثل في نيشان موريس والعازر .

كما تلقى الأمير رسالة من الجمعية الفرانماسونية بفرنسا تشيد فيها بهبته و بإنسانيته، معربة له عن حبها وإحترامها لشخصه[3]،وتلقى أيضا رسائل مماثلة من جمعيات أخرى كجمعية البر والإحسان ومن الجمعية الأمريكية[4]، وتلقى كذلك رسائل شكر وتقدير من عدة شخصيات وعلى رأسهم الشيخ شامل الدغستاني الذي أثنى في خطابه على عدل الأمير معبرا عن إحترامه الشديد له، حامدا الله على منحه القوة للأمير حتى تمكن من إخماد نار الفتنة[5]. كما كُتِبت في الأمير قصائد مدح من قبل العديد من الشعراء، منهم نائب المحكمة الشرعية في بيروت الشيخ إبراهيم الأحدب ورزق الله أفندي حسون وغيرهما، ناهيك عن المقالات التي نشرتها الصحافة والتي تشيد بما قام به الأمير في طوشة النصارى [6].

[1] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص287.

[2] بديعة الحسني الجزائري، وما بدلوا تبديلا، ص208.

[3] محمد بن عبد القادر، تحفة الزار السيرة القلمية، ص99-101.

[4] بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص209.

[5] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص288.

[6] محمد بن عبد القادر، نفسه، ص101-112.

المبحث الثالث: دور الأمير في إتمام مشروع إنجاز قناة السويس وعلاقته بالماسونية:

المطلب الأول: دور الأمير في إتمام إنشاء القناة:

أ– تبلور فكرة إنشاء قناة السويس عبر التاريخ:

قبل الحديث عن كل ما يتعلق بالخطوات التي قام بها الأمير عبد القادر والخاصة بإتمام إنشاء قناة السويس، وكل ما يتصل بهذا الموضوع، إرتأيت أن أقدّم أو أُعرف بهذه القناة، وأعرج بعد ذلك للحديث عن كيف ومتى ظهرت فكرة مشروع إنجازها ولماذا.

إن قناة السويس، هي عبارة عن ممر مائي يربط بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، وهو ممر إصطناعي إنجزه المصريون في القرن التاسع عشر للميلاد، وتمتد القناة من بور سعيد وإلى غاية السويس بمصرعلى مسافة تقدر بـ 193 كيلومترا، وهو أطول ممر مائي في العالم[1]. إن فكرة إنشاء هذه القناة لم تكن وليدة ذلك الوقت بل أن الفكرة قديمة وتعود إلى عهد الفراعنة، إلا أن ملوكهم تراجعوا عنها نظرا لإعتقاد المهندسين المصريين آنذاك أن البحرين الأحمر والمتوسط ليسا على المستوى نفسه، ولذا فان شق قناة تربط بينهما سيؤدي حتما إلى كارثة تتمثل في غرق أراضي الدلتا[2]، واكتفوا باستخدام ممر مائي أُنجز في عهد الفرعون سنوستر الثالث عبر النيل لربط البحر الأبيض بالبحر الأحمر وهو طريق غير مباشر، وكان عبر واد الطميلات الرابط بين خليج السويس والنيل، مع أن هذه القناة أو قناة الفراعنة لم تكن تفي بالغرض كما أنها كانت تتعرض في كثير من الأحيان إلى الغلق بسبب تراكم الرمال بها. وتجدر الإشارة إلى أن قناة الفراعين ونظرا لأهميتها في الفتوحات الإسلامية، فقد أعاد حفرها عمرو بن العاص بطلب من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وسميت حينها بقناة أمير المؤمنين[3].

إن التفكير في إنجاز قناة مباشرة تربط بين البحرين بقي قائما عبر مختلف الحِقب التاريخية، وخاصة بالنظر إلى ما تلعبه من دور كبير في إنعاش التجارة واختصار المسافات وسهولة العبور والتنقل بين الشرق والغرب. ففي أوائل القرن السادس عشر وقصد الحد من التفوق التجاري البرتغالي فكرت فينسيا في

---

[1] الجزيرة، 10 حقائق مثيرة عن قناة السويس[على الخط] الجزيرة نت، موقع اخباري تابع تابع لقناة الجزيرة الاخبارية، متاح على الرابط https://www.aljazeera.net/ebusiness/2018/11/26/10-حقائق-مثيرة-عن-قناة-السويس، 26 نوفمبر 2018، 25 مارس 2021، 02:03 بتاوقيت مكة المكرمة.

[2] مصطفى الحفناوي، قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة، الجزء01، مطبعة مصر، القاهرة، 1952، ص18.

[3] انجلو ساماركو، قناة السويس تاريخها ومشكلاتها وفقا للوثائق المصرية والأوروبيةغير المنشورة، ترجمة ولاء عفيفي عبد الصمد وآخرين، مراجعة حسين محمود، الطبعة 01، المركز القومي للترجمة، مصر، 2015، ص35-42.

إنشاء قناة مباشرة تربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر، لكن المشروع لم يُنجز نظرا لعدة ظروف منها عدم سماح المسلمين للغربيين بحرية التنقل التامة في أراضيهم، إضافة إلى الإعتقاد الذي كان سائدا منذ القدم والمتعلق بعدم تساوي مستوى البحرين[1].

يُعد نابليون بونابرت، من بين أهم الشخصيات التي فكرت أيضا في حفر قناة تربط بين البحر البيض المتوسط والبحر الأحمر. فنابليون قام في شهر جويلية 1798 بحملته على مصر من أجل ضرب إنجلترا بالإستيلاء على طريق الشرق، ثم الإستحواذ على الهند. وخلال تلك الحملة لم يُحضر نابليون معه قادة الجيش والجنود فقط، بل جلب معه أيضا خبراء ومهندسين وأمرهم عقب وصولهم إلى مصر بالشروع في إنجاز دراسات تتعلق بمدى إمكانية إنجاز ممر مائي يُمكّنهم من سهولة الوصول إلى الهند عن طريق منطقة السويس، وقد أشرف بنفسه مع فريق الخبراء على تلك الدراسات الخاصة بالمشروع ذو الأهمية الكبرى التي تفوق تلك التي كان يتمتع بها طريق رأس الرجاء الصالح[2].

كان على رأس فريق الخبراء المنوطة به هذه المهمة، المهندس لوبير الذي قام بدراسات طبوغرافية وقياسات للمستويات ومختلف الإرتفاعات، لكن يُشار إلى أن تلك الحسابات والقياسات كانت فيها أخطاء، مما جعل لوبير يعتقد أن مستوى البحرين غير متساوي، حيث يفوق مستوى البحر الأحمر ب 10 مترات مستوى البحر الأبيض المتوسط[3]. ولم يتمكن بذلك نابليون هو أيضا من إنجاز مشروعه، لكن رغم ذلك إلا أن مشروع إنشاء ممر مائي يربط بين البحرين لم يبرح تفكير الفرنسيين وظل أملهم في تحقيقه قائما.

ب- فردناند ديليسبس يحقق حلم فرنسا:

بعد فشل الحملة الفرنسية على مصر وخروج نابليون من أراضيها، بقي ماثيو ديليسبس يواصل ممارسة مهامه قنصلا لفرنسا بمصر، وعمل على توطيد علاقته بمحمد علي باشا، وتمكن إبنه فردناند من تأسيس علاقة صداقة مع إبن محمد علي باشا سعيد. وبعد سنوات أصبح فردناند نائبا لقنصل فرنسا بمصر، وحدث أن وضعت السفينة التي كانت تقله مع آخرين من فرنسا إلى مصر تحت الحجر بالإسكندرية لمدة شهر، بعد أن تم إكتشاف حالة إصابة واحدة بالكوليرا على متنها، وخلال فترة

[1] نفسه، ص47-48.

[2] مصطفى حفناوي، المرجع السابق، ص58-59.

[3] انجلو ساماركو، المرجع السابق، ص72.

الحجر أرسل له قنصل فرنسا العام بمصر تقرير لوبير المتعلق بمشروع إنجاز ممر مائي بين البحرين الأبيض والأحمر، فآمن بالمشروع وراح يعمل كل ما بوسعه بهدف تحقيقه، ولأجل ذلك إتصل بوالي مصر الخديوي عباس والحكومة العثمانية لكن المشروع لم يحظ بالموافقة من قبل الخديوي ولا حتى من طرف الباب العالي[1]، لكن رغم ذلك فان ديليسبس لم يفقد الأمل، هذا الأمل الذي كبر أكثر عندما تولى صديقه سعيد باشا إبن محمد علي باشا حُكم مصر، لم يترك فردناند الفرصة تفوته أو تفلت من بين يديه فأسرع في إرسال رسالة إلى والي مصر الجديد، الذي رد عليه بسرعة بخطاب يطلب فيه منه المجيء إلى مصر، فلبى الدعوة مباشرة وسافر إلى مصر بحيث إلتقى بسعيد باشا الذي عينه مستشارا له، وتمكن فردناند ديليسبس بعد ذلك من تزيين فكرة إنجاز القناة لسعيد باشا ، بعد أن أكد له بأنه إنجازٌ سيحسب له كما سيُخَلّدِ عهده لدى الأجيال القادمة، ليوافق الباشا بعد ذلك على المشروع بكل سهولة[2]. وتم الشروع في إنجاز الممر المائي، بعد إتمام كافة الدراسات المتعلقة بإنجاز القناة، بسواعد أغلبيتها الساحقة مصرية.

ج– الأمير عبد القادر وإتمام إنجاز المشروع:

في رحلته إلى الحجاز لآداء فريضة الحج نزل الأمير بأرض مصر أين إلتقى بواليها الخديوي إسماعيل الذي أكرمه، ثم التقى بفردناند ديليسبس وأخذه خلال ذلك في زيارة إلى موقع مشروع إنجاز قناة السويس ، وبعد إستراحته بمصر واصل الأمير رحلته إلى الحج، وما إن وصل إلى البقاع المقدسة حتى أرسل برسالة إلى فردناند ديليسبس يعلمه فيها بوصوله سالما إلى جدة، وجاءه الرد على خطابه برسالة من نائب رئيس شركة السويس، يخبره فيها أن ديليسبس أهداه قطعة أرض بمنطقة بوبلح بمصر تحتوي على قصر وبستان إضافة إلى اراضي زراعية.

خلال رحلة عودة الأمير من الحج وتوقفه في مصر أين إستقبله الخديوي إسماعيل الذي أحسن استقبال وإكرامه، دعته شركة السويس لزيارة منطقة الإسماعيلية بحيث كانت له زيارة للأرض التي منحها

---

[1] سيد نبيل، بالوثائق التاريخية النادرة الوطن تنشر القصة الكاملة لقناة السويس[على الخط] الوطن، بوابة الكترونية شاملة، شركة المستقبل للنشر والتوزيع والصحافة، متاح على الرابط https://www.elwatannews.com/news/details/780484، الثلاثاء 04 أغسطس 2019، 10:39.

[2] لورا لونج، ديليسبس وقناة السويس عبقرية الانسان والتاريخ، ترجمة محمد فريد حجاب، تقديم حسين عيد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص73-84.

له ديليسبس وبقي في ضيافته عدة أيام ثم عاد إلى دمشق وكان ذلك عام 1282هـ[1]. وتجدر الإشارة إلى أن معرفة الأمير لفردناند ديليسبس نتجت عن انتماء الأمير عبد القادر إلى المجمع العلمي الفرنسي بأكاديمية باريس، كما تعرف الأمير أيضا على شقيقه جول ديليسبس، ويرى يحي بوعزيز أن هذه العلاقة كانت السبب في منح الأمير عبد القادر قطعة الأرض وليس ذلك فحسب، بل أن فردناند أراد أن يُنصب الأمير عبد القادر أميرا على قناة السويس، لأن شركة قناة السويس كانت تريد فصل منطقة القناة عن مصر، متسائلا كيف جعل الأمير من نفسه وهو كبير القيمة وذو الشأن والمقام العالي معولا بين يدي الشركة لتقضي به على السيادة المصرية وتهديد وحدة تراب هذا البلد[2]، ويذهب أحمد درويش إلى الرأي ذاته حيث يشير إلى أن الأمير تم توريطه بمنحه تلك الأرض ومحاولة جعله أميرا على السويس، وهذا الأمر يُعَدُّ مشروعا لفصل السويس عن مصر[3].

إن مشروع قناة السويس كاد أن يتوقف، حيث أصرف الخديوي إسماعيل النظر عن المشروع، ولولا تدخل الأمير عبد القادر الذي أقنعه بأهمية الممر المائي في الربط بين الشرق والغرب لما عدل الخديوي عن موقفه، وهذا حسب ما صرح به الصالح قبي[4]، وفي الاطار ذاته أشار جعفر الحسني الجزائري إلى أن علماء الدين المصريين إنتقدوا كثيرا الخديوي إسماعيل على سماحه باستمرار أشغال الحفر الخاصة بالقناة، لأن التغيير في جغرافية الأرض بانجاز ممر مائي لم يخلقه المولى عز وجل ولم يكن موجود أساسا، يعتبر تغييرا في خلق الله وهذا حرام حسبهم، فوجه الخديوي دعوة للأمير للمجيء إلى مصر لمساعدته في التصدي لتلك الفتوى[5]. أما داليا شمس فتذكر أن الأمير عبد القادر لعب دورا في حفر الممر المائي الرابط بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، وذلك بجعل المشروع يتخطى عدة صعوبات واجهته، وتمكن الامير من زرع الوفاق بين الخديوي إسماعيل وفردناند ديليسبس بعد عدم توافق وسوء تفاهم

[1] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص122-123.

[2] يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ص319.

[3] احمد درويش، المرجع السابق، ص186.

[4] الصالح بن قبي، محمد بوطالب يستغرب تأخر مشروع فيلم الأمير عبد القادر وابن قبي يكشف لولا الأمير عبد القادر لما شيدت قناة السويس و السوريون احتضنوه لما طرد من مصر [على الخط] حوار آسيا شلابي، الشروق أون لاين، النسخة الالكترونية لجريدة الشروق اليومي، مؤسسة الشروق، متاح على الرابط https://www.echoroukonline.com/لولا-الأمير-عبد-القادر-لما-شيدت-قناة-ال/، 01 فيفري 2010.

[5] جعفر الحسني الجزائري، الامير عبد القادر، الجزيرة الوثائقية.

حدث بينهما عرقل المضي في إتمام إنجاز القناة، وأنه في سنة 1863 وأثناء رحلة العودة من الحجاز زار الأمير مصر بحيث كانت له لقاءات مع عدد من زعماء عدة قبائل مصرية قاطنة بالمنطقة التي كان يُنجَز بها المشروع ونجح في إقناعهم بالمشروع بل وأقنعهم أيضا بضرورة التضحية في سبيل إنجازه[1]. وبقي الأمير عبد القادر سنوات عدة وهو يدعم هذا المشروع بكل ما أوتي من قوة[2] إلى أن تم الإنتهاء من إنجازه عام 1869، وأصبح الحلم حقيقة والمشروع مُجَسد على أرض الواقع بعد مرور عشر سنوات كاملة على إنطلاقته.

د– حضور الأمير عبد القادر حفل إفتتاح قناة السويس:

فتحت فرنسا قناة السويس عام 1286هـ الموافق لسنة 1869م، على عهد حاكم مصر حينها الخديوي إسماعيل باشا، وأرسلت فرنسا دعوات إلى ملوك عدة دول لحضور حفل الإفتتاح، وكان الأميرعبد القادر من بين الشخصيات التي وُجّهت لها دعوة الحضور[3]، فلبى الدعوة وانتقل من دمشق إلى بيروت ثم إلى الإسكندرية أين إلتقى بزوجة إمبراطور فرنسا نابليون الثالث الإمبراطورة أوجيني، التي خصصت له باخرة إنتقل بها إلى بورسعيد. وكان من بين الحضور إلى جانب إمبراطورة فرنسا التي حضرت نيابة عن زوجها نابليون الثالث، ملك إيطاليا وولدي إمبراطور ألمانيا[4]، وأيضا إمبراطور النمسا وملك اليونان وملك بروسيا ونائب عن قيصر روسيا، وركب كل إمبراطور او ملك أو من ينوب عن قادة البلدان الذين وُجِّهت لهم الدعوة ولم يتمكنوا من الحضور، في باخرة وتوجهت كل تلك البواخر إلى مكان إقامة الحفل[5]. جلس الأمير عبد القادر الذي وصل إلى مكان الحفل أيضا على ظهر السفينة التي خصصتها له الامبراطورة أوجيني إلى جانب الضيوف من أباطرة وملوك وشخصيات هامة، وبعد إنتهاء ذلك الحفل قدَّم الأمير تشكراته لإمبراطورة فرنسا على تخصيصها باخرة له، ثم التقى بممثلي شركة قناة السويس وعلى رأسهم فرديناند ديليسبس، حيث حدثوه عن قطعة الأرض التي أهداها له فرديناند،

---

[1] داليا شمس، الامير عبد القادر ابن سيدي محي الدينل [على الخط] موقع جريدة الشروق الالكتروني، دار الشروق، مصر، متاح على الرابط https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=29012017&id=b77a48b1-2ec4-4a24-a30e-c66ab5c805d8، أحد 29 يناير 2017، 12:45.

[2] الأمير عبد القادر، الجزيرة الوثائقية.

[3] أحمد بن محي الدين، المصدر السابق، ص132.

[4] محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص185.

[5] احمد بن محي الدين، المصدر السابق، ص132.

فأفادهم باعتراض الخديوي إسماعيل عن منحه الأرض، مُطْلعا إياهم على رسالة حاكم مصر التي بعثها إليه والتي يؤكد له فيها أن الشركة ليس لها الحق في منحه قطعة أرض لأنها ليست في حيازتها، وحاول فرديناند خلال هذا اللقاء إقناعه بضرورة عدم التنازل عن قطعة الأرض، إلا أن الأمير أكد لهم بأنه لا يريد أن يكون السبب في خلق مشكل بينهم وبين الخديوي ولذلك رفض قبول تلك القطعة الأرضية[1]. وربما يكون رد فعل الأمير المتمثل في الإعتذار عن قبول قطعة الارض تلك هو بسبب إكتشافه لما تدبره الشركة وعلى رأسها فرديناند ديسيلبس من محاولة تمزيق وحدة مصر وتقسيمها وهو ما لا يريده الأمير، بل بالعكس فشخصية الأمير عبد القادر تجعلنا ندرك أنه كان ضد تمزيق الأوطان خاصة وإن تعلق الأمر بالبلدان العربية والإسلامية، ولا أعتقد أن هذا الرجل الذي حارب فرنسا لمدة 17 سنة من أجل أن تحيا الجزائر مستقلة وموحدة وبويع على الجهاد وعلى القرآن والسنة، الرجل العالم الصوفي يمكن أن يقبل بتقسيم أي بلد كان، فما بالك بقبوله أن يكون هو الأداة المستعملة لتحقيق ذلك التقسيم.

المطلب الثاني: علاقة الأمير عبد القادر بالماسونية:

أ– إختلاف الآراء حول ماسونية الأمير عبد القادر:

يرى العديد من المؤرخين والباحثين الجزائريين ومن دول أخرى، بأن الأمير عبد القادر كانت له علاقة مع الماسونية أو ما يعرف بحركة البنائين الأحرار، ومن بين الذين كتبوا حول هذا الموضوع أو عن هذه العلاقة التي كانت بين الأمير والماسونية جرجي زيدان، وقبل أن يتطرق إلى الموضوع تحدث زيدان عن الماسونية في فرنسا، حيث يذكر أن بارس قد تم إنشاء إحدى المحافل الماسونية بها في عام 1725 ، وأن العديد من قادة ثورة 1848 إنضموا إلى الماسونية، مشيرا إلى أن إبن أخ نابليون الثالث كان ماسونيا، وقد إنتخبه الماسون رئيسا عليهم كسبا لود العائلة الحاكمة، وعمل الماسون على جعل فرنسا مقرا أو مركزا لنشاطاتهم لكنهم لم يتمكنوا من تحقيق ذلك إلا في فترة وجيزة، كما طلبوا من نابليون الثالث أن يعيد لهم إمتيازاتهم في الإنتخاب فكان لهم ما أرادوا، وأنه في 1868 بلغ عدد المحافل الماسونية بهذا البلد 27 محفلا.

أما في لبنان فقد تم إنشاء أول محفل ماسوني سنة 1862، الذي إنضم إليه الأعيان والعلماء والسياسيون من شتى الطوائف اللبنانية،وعن الماسونية في سوريا يذكر جرجي زيدان أن الأمير عبد القادر

[1] محمد بن عبد القادر، ص 186.

كان أول من أدخلها إليها، وأنه كان هناك محفل ماسوني واحد بدمشق ومحافل أخرى في عدة مدن بالشام[1].

وكما سبقت الإشارة إليه آنفا، فقد إتصلت الجمعية الماسونية بالأمير عبد القادرمباشرة عقب أحداث طوشة النصارى، وشكرته على تدخله لفائدة المسحيين وإنقاذهم والوقوف في وجه المعتدين عليهم، كما أهدته نجم الماسونية الأعظم. ومن جهته واسيني الأعرج وفي تصريح له أكد أن الأمير فعلا قد انتمى إلى الحركة الماسونية بعد هذه الأحداث، حيث زاره وفد ماسوني وطلب منه أعضاؤه خلال هذه الزيارة الإنضمام إليهم، وبعدما عَرَّفوه على أهداف الجمعية ومشاريعها الإنسانية أكد لهم بأنه إذا كانت هذه هي الماسونية فليعتبروه أخا لهم، ثم سلَّموه الأسئلة الأولية الخاصة بالماسونية التي أجاب عنها الأمير كلها، ثم سلمها لهم في طريق عودته من الحج عام 1864 عند زيارته المحفل الماسوني بالإسكندرية، كما أوضح واسيني الأعرج أن الأمير تردد كثيرا قبل أن يعلن إنتماءه اليها في هذا المحفل، مُعطيا بعض الامثلة عن شخصيات إسلامية كانت منتمية للماسونية أو إلى هذه الجمعية التي لا علاقة لها بالصهيونية -كما يقول- ومن بين تلك الشخصيات ذَكر جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده[2]. وتجدر الإشار إلى أن الأعرج أكد بأنه قضى عدة سنوات من البحث في تاريخ الأمير عبد القادر وقد تُوِّج هذا البحث الذي تَطَلَّب منه التنقل إلى عدة بلدان وإعتماده على عدة مصادر بإنجاز رواية تحكي تاريخ أو سيرة الأمير عبد القادر، وهي رواية من جزأين ويتعلق الأمر برواية كتاب الأمير.

وفي السياق ذاته برونو اتيين كتب أيضا عن علاقة الأمير بالماسونية، ويخبرنا في كتابه بأنه عقب فتنة دمشق تعرف الأمير على أهداف ومشاريع الماسونية من خلال أحد اللبنانيين المسلمين العرب المنتمي لهذه الجمعية، والذي كانت تجمعه علاقة صداقة مع أفراد أسرة الأمير، وأنه هو من قاد أبناء الأمير محمد ومحي الدين وعمر وعلي خليل للإنضمام إلى مختلف المحافل الماسونية، وفي سياق إعطائه لأدلة حول ماسونية الأمير عبد القادر يذكر برونو أنه في 07 أفريل 1868 زار الأمير عبد القادر أحدُ الماسونيين الأمريكيين وقام الأمير بمعانقته على طريقة الماسون، مؤكدا أنه فعلا قد إنتمى إلى الجمعية

[1] جرجي زيدان، تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها الى هذا اليوم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة-مصر، 2012، ص103-110.

[2] واسيني الأعرج، المنعطف [على الخط] حصة من تقديم يوسف رزق، تلفزيون سوريا، متاح على الرابط https://www.youtube.com/watch?v=mPEEyT_f1s0، 21 أوت 2018.

في محفل الأهرام في 18 جوان 1864 مكذبا أن يكون قد إنتمى إليها بالإسكندرية في محفل هنري الرابع[1].

زهور بوطالب حفيدة عم الأمير علي بوطالب، نفت أن يكون الأمير قد إنتمى إلى الماسونية، وأن كل ما في الأمر أن الجماعة الماسون بعد أن زاروه في دمشق عقب فتنة 1860، عرفوه على الجمعية وعلى ماتغنت به من مبادئ سامية وأعمال ومشاريع خيرية طيبة وبأنها جمعية إنسانية لا غير، ولأنه كان مع كل ماهو إنساني، فقال لهم إن كانت الجمعية هكذا أي كما عرفوها له فاعتبروني واحدا منكم، مطالبة بعدم تشويه صورة الأمير وهو رمز من رموز الدولة باتهامه بهذا الإتهام وهو الرجل العالم المتدين الذي بويع وفقا لمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

علي الصلابي بدوره نفى أن يكون الأمير عبد القادر قد إنتمى إلى الماسونية، التي ما إن توفي الأمير حتى خرجت إلى العلن وراحت تنسب زورا إنتماء الأمير إليها، وأن ما قيل عن الأمير من أنه زار محفل الأهرام أثناء عودته من الحجاز لا يتعدى كونه مجرد تشويه لهذه الشخصية العظيمة، مؤيدا من ذكروا أنه بعد فتنة دمشق إتصل محفل هنري الرابع بالأمير وأرسل له خطابات تعترف له بإنسانيته طالبا منه الإنتماء إلى الجمعية، لكنه ورغم الإلحاح عليه، إلا أن الأمير رفض طلبها رفضا قاطعا[3]. أما ناصر الدين سعيدوني فقد تحدث عن إنضمام الأمير فعلا للماسونية لينفصل عنها فيما بعد، وأن الماسونيين خيب الأمير ضنهم لأنه لم يحقق ماكانو يطمحون إليه نظرا لقوة إيمانه[4].

ب- ما يمكن قوله في الموضوع:

إن موضوع إنضمام الأمير عبد القادر إلى الماسونية من عدمه، هو أمر معقد وفيه خفايا وعلامات إستفهام كثيرة، مما لا يُمَكِّن الباحث المبتدئ من أن يؤكد أو ينفي ذلك، كما أن هذا الموضوع من بين المواضيع التي يجب على الباحث أن ينتبه جيدا عندما يخوض فيها، فالموضوع توجد حوله إختلافات كبيرة وعميقة، وما أستطيع أن أقوله هو أن الماسونية ربما كانت تراقب الأمير في كل حركاته وسكناته

[1] برونو اتيين، المرجع السابق، ص344-356.

[2] زهور آسيا بوطالب، نقاش [على الخط] حصة اخبارية اسبوعية من تقديم ياسر لعرابي، النهار تي في، متاح على الرابط https://www.youtube.com/watch?v=KcFjZp0y2dw، 10 نوفمبر 2018.

[3] علي الصلابي، الأمير عبد القادر كيف شوهت الاستخبارات رموز النضال الجزائري [على الخط] الجزيرة نت، متاح على الرابط https://www.aljazeera.net/blogs/2018/2/4/عبد-القادر-الجزائري-كيف-شوهت، 04 فيفري 2018.

[4] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص190-191.

منذ أن كان أسيرا في فرنسا وبعد إطلاق سراحه أيضا إلى غاية وفاته سنة 1883، حيث يذكر أبو القاسم سعد الله أن المستشرقين إهتموا بالأمير، وكذلك الماسونيين الذين تقربوا منه لمعرفة إتجاهاته وأفكاره وقناعاته وآرائه المتعلقة بمختلف المواضيع منها السياسية والاجتماعية والعقائدية والفلسفية وغيرها، وهو ما تُوج بتأليفه للمقراض الحاد[1]. كما لمح برونو أتيين إلى أن مترجم الأمير بواسونبه وزوجته ماري دبير التي كانت تحضر اللقاءات الفكرية التي كان ينشطها الأمير عندما كان سجينا في أمبواز كانا من الماسون **"كما أن ماري دبير زوجة بواسونه التي تلتحق بهم فترة في امبواز وحتى بروسة... انها توطئات لاجتماعات سرية لاحقة، ولاتصالات مع كيانات روحية ستعمل فيما بعد على إدخال عبد القادر في هذه المراكز الروحية التي تحكم العالم"**[2] وهذا يعني أن الأمير كان تحت المراقبة اللصيقة من قبل الماسون، وعليه فإن الماسونية كانت تسعى بكل ما أوتيت من قوة إلى ضمه إليها نظرا لشهرته بين المسلمين والعرب والمكانة التي يحظى بها بينهم، ربما حتى تتمكن من إستعماله حسب رغباتها وتوجهاتها وأهدافها.

بالنسبة لموضوع إجابته عن الأسئلة الأولية الخاصة بالجمعية الماسونية، فإن هذا ليس دليلا قاطعا على أن الأمير قد إنضم إليها لمجرد أنه أجاب عن تلك الأسئلة، وحسب ما جاء في حديث سليمان سالم الرئيس الأعظم للمحفل الماسوني الأكبر بإسرائيل، فإن الإنتساب للماسونية يكون على أساس منهج معين إتبعته الحركة منذ نشأتها، مشيرا إلى أن تلك "الطقوس" لايمكن للماسون الإعلان والكشف عنها، مؤكدا أن الماسونية لا علاقة لها بالصهيونية[3]، ومن هنا نستطيع أن نفهم أن الإنضمام للماسونية منذ القدم لا يمكن أن يكون ولا يمكن أن يتحقق ويحدث بمجرد الإجابة عن أسئلة معينة، بل أن الأمر أبعد من ذلك ويتعلق بممارسة وبإتمام "طقوس" لا نعرف عنها شيء، وهذا هو الأمر الخطير، وفي مثل هذه الحالة، وبالنظر إلى هذا الغموض فإن الأمير عبد القادر قد يُستبعد أن يكون قد إنضم إلى مثل هذه الجمعية ،لأنها حركة غامضة ومشكوك في أمرها، إذ ليست لديها حتى الجرأة في الإفصاح عن شروط الإنضمام إليها، وهذا ما يجعلها حركة مريبة.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تارخ الجزائر، الجزء04، ص181.

[2] برونو أتيين، المرجع السابق، ص257.

[3] سليمان سالم، حديث آخر [على الخط] حصة من تقديم فراس حامد، عدد خاص بالماسونية، أي24 نيوز، قناة تلفزيونية اسرائيلية، متاح على الرابط https://www.youtube.com/watch?v=UW2G7E-iEZ0، 23 ديسمبر 2018.

ومن جهة ثانية هناك إحتمال آخر يتمثل في أن الأمير فعلا قد إنضم إليها لأن الأعضاء الذين تواصلوا مع الأمير أكدوا له بأنها جمعية خيرية ولاعلاقة لها من بعيد أو من قريب بالسياسة أوبالمعتقدات وأن هدفها إنساني بحت، وأنه عندما إكتشف أمرها وحقيقتها سحب عضويته منها، أوإحتمال أنه آزرها فقط دون الإنضمام إليها باعتبار أنها جمعية إنسانية خيرية، لأنه لايعقل أن شخصية ثقيلة ولها وزن مثل الأمير عبدالقادر العالم الجليل والصوفي المتدين الذي يحسب له مليون حساب أن ينضم إلى جمعية تتميز بالخبث وأهدافها غير الأهداف المعلنة وجمعية مشكوك في أمرها.

الـــخاتمة

الخاتمة:

إن شخصية الأمير عبد القادر الجزائري العبقرية التي اتسمت بالرجولة وعزة النفس والأنفة، فرضت احترامها على كل من عرفها أو سمع عنها، وقد سجلت ذلك من خلال ما ورد في هذه الدراسة، فكان حتى العدو الفرنسي يحسب له ألف حساب منذ بروزه على صعيد المقاومة المسلحة الجزائرية وإلى غاية تسليمه لسلاحه وحتى بعد سجنه واستقرار بدمشق حتى وفاته. ففي فترة المقاومة أقلق الأمير ورجاله القادة الفرنسيين نظرا لتمكنه ميدانيا، في أغلبية المعارك التي دارت رحاها بين جيشه والجيش الفرنسي، وعمدت فرنسا إلى تطبيق سياسة ظالمة وجائرة للقضاء نهائيا على الأمير ومقاومته. وعلى صعيد آخر إحتضن سلطان المغرب الأمير وأيده وسمح له بأن يتخذ من أراضيه قاعدة خلفية يهاجم الأميرُ غنطلاقا منها قوات المستعمر الفرنسي، إلا أن الأمر لم يدم طويلا حيث ظهر السلطان على حقيقته وأبان عن شخصيته الضعيفة إثر ضغط مارسته عليه فرنسا وهو ما كان لديه نتائج خطيرة على مقاومة الأمير عبد القادر.

حتى مع تسليم الأمير لسلاحه للفرنسيين نرى أنه بقي يحظى بذلك الاحترام وبمكانة رفيعة وسط أو بين أبناء بلده، الذين رغم تحسرهم على نهاية المقاومة والتسليم إلا أنهم لم يتهموا الأمير الذي لبى في وقت مضى نداء الوطن، وسبّل نفسه من أجل طرد الفرنسيين من الجزائر، وفي سبيل تخليص البلاد والشعب من الإحتلال، في مسيرة جهادية دامت سبع عشرة سنة، لم يُسجل خلالها التاريخ أنه تراجع يوما عن رفع السلاح أو عن تشغيله للآلة الدبلوماسية لإيجاد سبيل للتخلص من الإحتلال الفرنسي للجزائر.

وكما رأينا فيما تقدم فإن الأمير عبد القادر أينما حل يكون محل إحترام، سواء في فرنسا في فترة أسره أو في بورصة بعد إطلاق سراحه وفي دمشق التي إستقر بها نهائيا أين لقي كل الترحاب هو ومن كان معه، من طرف أهلها الذين إعتبروه واحدا منهم، مما سهل عملية إندماج أهله بالدمشقيين الذين إختلطوا بهم، وأصبح له أصهار أيضا من أهلها وعلى رأسهم أصهاره من أسرة آل العابد.

و من أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:

أن عدة عوامل قد ساهمت في نحت شخصية الأمير عبد القادر الفذة، منها نسبه الشريف الذي يعود إلى الحسن إبن فاطمة الزهراء –رضي الله عنها– إبنة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، و ترعرعه وسط بيئة محافظة، وفي أسرة متدينة ومثقفة، فوالدته كانت إمرأة متعلمة ومثقفة، ووالده كان عالما جليلا

ومقدم الطريقة القادرية، إضافة إلى الإهتمام الخاص والكبير الذي أولاه والده به، سيما وأنه رأى فيه علامات النبوغ والشجاعة، ونمت شخصية عبد القادر الفارس أيضا على حب الخيل وممارسة رياضة الفروسية وهواية الصيد، فكانت هذه العوامل وأخرى قد هيأت الأمير ليكون الرجل الذي تجتمع فيه كل خصائص الشخصية القيادية القوية، فكان العالم المتصوف الزاهد، والدارس بعمق لمختلف العلوم، وكان السياسي والدبلوماسي المحنك، والفارس الشجاع المتخلق، مما مكنه من قيادة مقاومة من أعظم المقاومات الشعبية المسلحة.

لقد خططت فرنسا الإستعمارية إلى التخلص من الأمير لأنه شكل حاجزا أمامها بمقاومته الشرسة، مما أعاقها على تحقيق التقدم والتوسع داخل البلاد في ظرف وجيز، وفي هذا السياق فإن الوعد الذي قطعه له كل من الدوق دومال ولامورسيار عن الجانب الفرنسي، ربما لم يكن إلا طُعما للتخلص منه نهائيا، ومع أنه ليس هناك ما يؤكد أن دومال كان على علم بالخطة التي رسمتها القيادة الفرنسية، إلا أن تحويل الأمير بعد تسليم سيفه، من الجزائر إلى فرنسا عوض المشرق يمكن أن يكون قد إطلع عليه دومال خاصة وأن هذا الدوق هو إبن ملك فرنسا لويس فيليب الذي سُجن الأمير في عهده في غياهب السجون الفرنسية، لأن فرنسا كانت تعتقد أنه في حالة ما إذا حققت للأمير شرطه المتعلق بذهابه واستقراره في المشرق فإن تاثيره لن يكون على الجزائريين فحسب بل على كل العرب والمسلمين، وأنه سيتمكن وبكل حرية وأريحية أيضا من تحريض الجزائريين على مقاومتها من مكانه بالمشرق سواء بعكا أو بالإسكندرية، ظنا منها أن الأمير سيَخلِف وعده. وما إستنتجه أيضا فيما يتصل بإطلاق سراح الأمير هو عدم إستقرار رأي المسؤولين الفرنسيين على أمر واحد في الموضوع، حيث كان يبدو أن هناك بعض النوايا لإطلاق سراحه من جانب لويس فيليب، ثم التراجع عن ذلك، وهذا الأمر لم يقتصر على الملك فحسب، بل حتى بالنسبة للمسؤولين العسكريين الفرنسيين الذين أبدوا تعاطفا مع الامير، ونلاحظ أن العديد منهم تراجع وعلى رأسهم دومال وبيجو ولامورسيار، وأيضا الشيء ذاته لوحظ من قبل شارل لويس نابليون، الذي أظهر خلال فترة رئاسته لفرنسا نيته أيضا في إطلاق سراح الأمير، إلا أن الأمر لم يكن بيده كما رأينا، وهذا يدل على أن هناك شيئ كان يطبخ حينها في الخفاء وأن أمر إطلاق سراح الأمير من عدمه لم يكن يتحكم فيه القادة الفرنسيون فحسب، ربما كان الماسون من وراء هذه التخبطات، وعليه فإن عملية إطلاق سراحه لم تكن لتحدث لو لم يكن يُعتقد أنه سيكون من ورائها مكاسب لبعض الشركات الأجنبية بمنطقة المشرق العربي، باعتبار أن الأمير شخصية تحظى بحب

وباحترام كبيرين من لدن سكان المنطقة، فحتى وإن إستقر في تركيا فإنه سيكون قريبا من بلاد المشرق العربي، وبالتالي فإنه بإمكانهم أن يستغلوا ذلك الحب والإحترام لصالحهم واستعمال الأمير كأداة من خلال كسب تأييده لهم، ودعمه لتلك الشركات الأجنبية مما يجعلها تحظى بمشاريع تمكنها من وضع يدها في المنطقة دون اعتراض من أهلها حسب ما كانوا يخططون له ويفكرون فيه.

ومن النتائج أيضا المتوصل إليها، أن الأمير عبد القادر لعب عدة أدوار من أجل توقيف الفتنة الطائفية التي شهدتها دمشق عام 1860 ، وكانت أدوارا سياسية دبلوماسية ويمكن أن نقول حتى عسكريا أيضا، فقد رأينا أنه في خضم تلك الفوضى كان يُجري لقاءات مع والي الشام ومع أعيان دمشق وعلمائها ومشايخها من أجل إيجاد الحلول السلمية لتوقيف الفتنة، ولا ننسى أنه إتصل أيضا بأعيان الدروز حتى يقنعهم بضرورة توقيف الفتنة في لبنان والعمل على عدم نقلها منه إلى دمشق، وتمكن من تزويد رجاله بالسلاح وتجنيدهم لتوقيف الفتنة وصد المعتدين على المسيحيين من دروز ومسلمين متعصبين وأكراد أيضا، ومن هنا بالإمكان القول أن الأمير وقف موقفا بطوليا ورجوليا من هذه الأحداث، ولعب دورا عظيما تمكن من خلاله من توقيف سفك الدماء، مما جعله يحظى بتكريمات تليق بمقامه من قبل حكام الدول الغربية والسلطان العثماني وشخصيات عديدة.

كما نلاحظ أيضا الدور الذي لعبه الأمير في إتمام إنجاز قناة السويس التي كادت أن تتوقف بها الأشغال لولا جهود الأمير في تقريب وجهات النظر بين ديليسبس صاحب فكرة تحقيق مشروع ربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر عن طريق ممر مائي وبين الخديوي إسماعيل حاكم مصر الذي قرر توقيف أشغال المشروع، واتصل أيضا بمشايخ مصر الذين حَرَّموا إنشاء القناة وكذلك بشيوخ القبائل القاطنة بالمناطق التي كانت تجري بها أشغال الحفر، وتشجيعهم على الوقوف مع المشروع نظرا لأهميته، و نجح الأمير فعلا في مبادرته وفي إنجاز المشروع الذي إنتهت أشغاله عام 1869. ونستنتج أيضا أنه كانت هناك علاقة تربط ديليسبس بالماسونية، علما أنه كان صديقا لأحد أفراد عائلة روتشيلد الذي كان يقطن بإسبانيا، كما أن تمويل مشروع إنجاز القناة كان من طرف بنك بارنج وأيضا بنك روتشيلد، وقد يكون هذا دليلا على وجود بصمة ماسونية على المشروع، وربما يكون ذلك دون علم الأمير. وللتذكير فان الجمعية الماسونية كانت قد إتصلت بالأمير وحرصت على عدم تفويت فرصة تهنئته وتكريمه لموقفه النبيل تجاه المسيحيين خلال أحداث الفتنة الطائفية 1860، مقترحة عليه الإنضمام إليها، ونظرا لتضارب الآراء والجدل الكبير الذي يدور حول هذه القضية، فما يمكن قوله هنا أن الأمير عبد القادر

ربما يكون فعلا قد إنضم إليها إعتقادا منه بأنها جمعية خيرية إنسانية، ثم إنسحب منها بعد ذلك نظرا لتطلعه على نواياها الخبيثة، كما يمكن ألا يكون قد إنضم إليها أساسا.

ومن هنا تتجلى إسهامات الأمير عبد القادر في بلاد الشام وأدواره التي لعبها في المشرق بعامة، حيث جاد بإسهاماته الفكرية والثقافية خاصة في دمشق، ولعب أدوارا سياسية ودبلوماسية وعسكرية أيضا لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

أما فيما يتصل بمُخرجات هذا البحث أو التوصيات التي أرفعها إلى الجهات المعنية فتتمثل في إنشاء متحف كبير من قبل وزراة الثقافة خاص بالأمير عبد القادر ويحمل إسمه، سيما بعد أن طُرحت بعض مقتنياته وأغراضه للبيع في المزاد العلني بفرنسا، وتزويد مختلف الهياكل الثقافية بجناح دائم خاص بالمقاومة الشعبية الوطنية المسلحة، وتدعيم مختلف المكتبات التابعة للدولة بكتب وصور عن وثائق مختلفة خاصة بالأمير، وكذلك إستحداث مقياس خاص بمقاومة الأمير عبد القادر يُدرس بجامعاتنا، ووجوب تسهيل مهمة الباحثين من قبل أحفاد الأمير عبد القادر في الحصول على المعلومات، دون تماطل منهم وإهدارٍ لوقت الباحث الثمين، وكذا تزويدهم بمختلف الوثائق والصور والمصادر، والتعامل مع الباحثين المحترفين أو المبتدئين بطريقة سلسة، كما عليهم القيام بالأنشطة التي تعرف بالأمير عبد القادر وبمقاومته، كتنظيم ندوات ومحاضرات ومعارض خاصة بهذه الشخصية وغيرها من النشاطات وبشكل مكثف، وأن يتركوا الحرية للباحثين في إبداء أرائهم التي كوَّنوها من خلال بحثهم وإطِّلاعهم على مصادر ومراجع مختلفة، وطرح أفكارهم فيما يتعلق بتاريخ وسيرة الأمير عبد القادر باعتباره شخصية وطنية، وترك المؤرخين يعملون سيما وأنهم متخصصين في التاريخ وهم أدرى بما يجب أن يُكتب وكيف يُكتب، والعمل على جعل الكتب التي يكتبونها حول سيرة جدِّهم الأمير عبد القادر متوفرة مجانا عبر الأنتيرنيت دون قيد أو شرط حتى تتم الإستفادة منها أيضا.

وأتمنى في الأخير أن يعمل الباحثون مستقبلا على إنجاز دراسات معمقة حول جوانب الظل أو تلك التي لم يتم من قَبل التطرق إليها من طرف المؤرخين حول الأمير عبد القادر والبحث فيها، والعمل على تقوية الإنتاجات الفكرية فيما يتصل بهذه الشخصية التي لازالت الكثير من الأمور المتعلقة بها غير معروفة.

الملاحق

الملحق رقم (01): خريطة تمثل مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري

الملحق رقم (02): معاهدة ديميشال

نص معاهدة ديميشال

إن الجنرال ديميشال قائد القوات الفرنسية في إقليم تهرات وأمير المؤمنين سيدي الحاج عبد القادر بن محي الدين قررا العمل بالشروط التالية:

المادة الأولى: إبتداء من اليوم يتوقف النزاع بين الفرنسيين والعرب. إن القائد العام للقوات الفرنسية وأمير المؤمنين سيبذلان جهدهما، كل من جهته، لإحلال الود والإخلاص بين شعبين حكم الله عليهما أن يعيشا تحت نفس السلطة، ولهذا الغرض ، سيرسل أمير المؤمنين ثلاثة قناصل من جهته أحدهم إلى وهران وثانيهم إلى أرزيو وثالثهم إلى مستغانم، وسيرسل الجنرال من جهته أيضا، قناصل إلى معسكر لمنع النزاع بين الفرنسيين والعرب.

المادة 2: إن دين وعادات المسلمين ستكون دائما محل احترام وحماية.

المادة 3: إن المساجين الفرنسيين سيطلق سراحهم حالا، وكذلك المساجين العرب.

المادة 4: ستكون السوق حرة ولن يعترض أي من الطرفين فيها طريق الآخر.

المادة 5: كل العسكريين الذين يفرون من عند الفرنسيين يجب على العرب إعادتهم إلى الفرنسيين، وكذلك العرب الذين يفرون من عند العرب فرارا من العقوبة على مخالفة إرتكبوها والذين هربوا إلى الفرنسيين، سيسلمون فورا في عين المكان إلى قنصل الأمير في وهران أو في أرزيو أو في مستغانم.

المادة 6: كل أوروبي يريد التنقل داخل البلاد سيحمل معه جواز سفر عليه ختم قنصل الأمير وختم القائد العام للإقليم حتى يكون حامل هذا الجواز محل احترام وحماية أينما حل في البلاد.

الملحق رقم (03): إحدى البطاقات التي تم توزيعها على جند الأمير خلال فتنة دمشق عام 1860. الصورة زودني بها جعفر الحسني الجزائري (1).

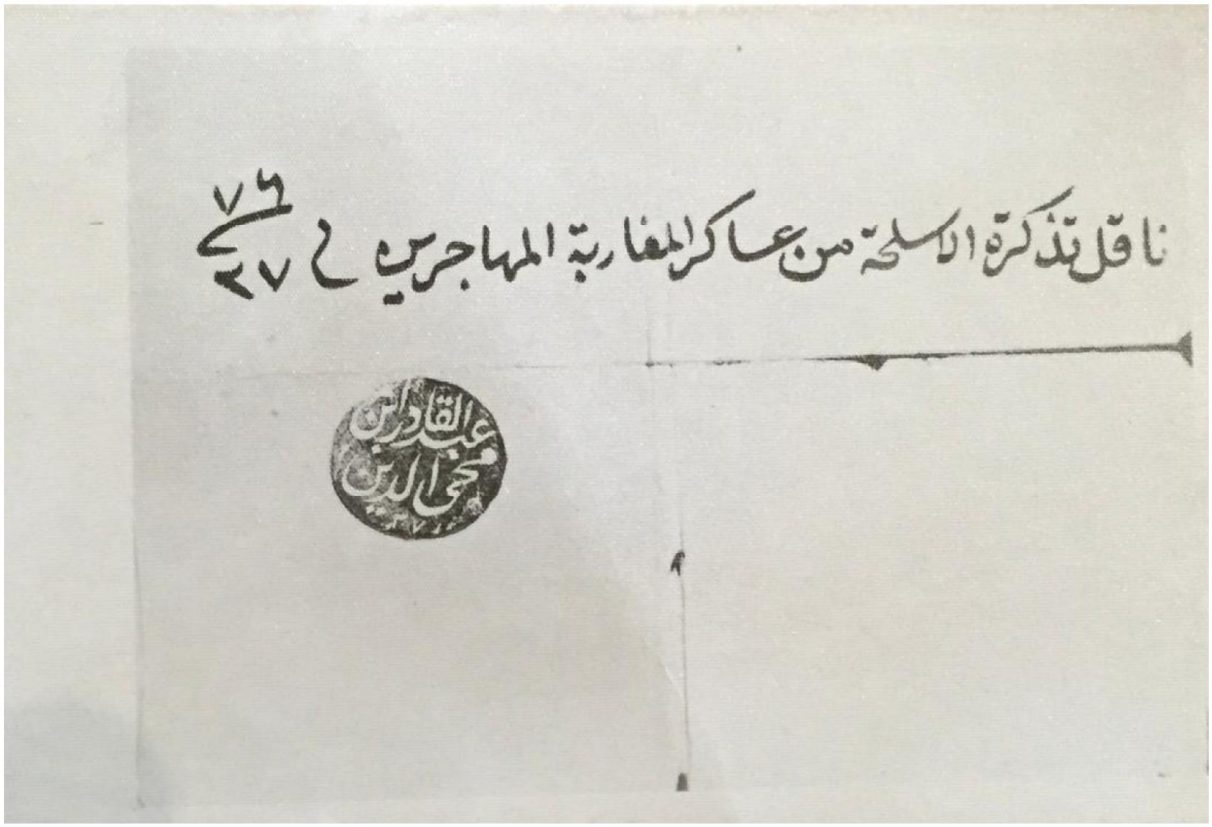

الملحق رقم (04): العلم الرسمي الذي رفعه الأمير حسب جعفر الحسني الجزائري الذي زودني بالصورة.

الملحق رقم (05): درا الأمير عبد القادر الصيفي بمنطقة دمر بسورية. الصورة زودني بها جعفر الحسني الجزائري.

الملحق رقم (06): شعار السلطنة العثمانية، رسم متواجد بدار الأمير بحي العمارة بدمشق. الصورة زودني بها جعفر الحسني الجزائري.

البيبليوغرافيا

المصادر:

1- محمد بن عبد القادر، محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر عبد القادر وأخبار الجزائر سيرته السيفية ، الجزء 01، سيرته السيفية، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الاسكندري-مصر، 1903.

2- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر عبد القادر وأخبار الجزائر السيرته القلمية، الجزء 02، المطبعة التجارية، الاسكندري-مصر، 1903.

3- احمد بن محي الدين، نخبة ما تسر به النواظر وابهج مايسطر في الدفاتر في بيان تولية ذي الكمال الطاهر والنسب الطاهر سعادة الأمير السيد عبد القادر بن محي الدين في اقليم الجزائر، مستخرجة من مخطوط كتاب تعطير الشام في محاسن دمشق اجمال الدين القاسمي، مؤسسة المير عبد القادر الوطنية، سورية، 2020.

4- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر ، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، ماي 1974

5- مخائيل مشاقة، مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، طبع بمصر،1908.

6- عبد القادر بن محي الدين، مذكرات الأمير عبد القادر سيرة ذاتية كتبها في السجنسنة 1849، تحقيق محمد الصغير بناني وآخريْن، الطبعة 07، شركة دار المة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان- الجزائر، 2010.

7- بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا الى اواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، الجزء02، دار الغرب الاسلامين بيروت-لبنان.

8- مجموعة من الكتاب، علي بن الأمير عبد القادر ملك الاقطاع المغربية وسلطان الارباض الجزائرية، اشراف محمد سعيد بن علي، مطبعة الترقي، دمشق، 1918.

9- عبد القادر بن محي الدين، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، المعني به عاصم ابراهيم الكيالي الحسني الشاذلي الدرقاوي، الطبعة 01، الجزء 01، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1425هـ/2001.

10- بيير بروجير، مع الأمير عبد القادر رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير عبد القادر في البويرة 1837-1838ن ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، برج الكيفان- الجزائر، جانفي 2006سام العسلي، الأمير عبد القادر الجزائري 1222-1300هـ/1807-1883م، الطبع 03، دار النفائس، بيروت-لبنان، 1406هـ/1986م.

11- محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، رغاية- الجزائر، 1981.

المراجع:

1- برونو اتيين، عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشال خوري، الطبعة 02، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشروالاشهار، دالي براهيم-الجزائر،2002.

2- بديعة الحسني الجزائري، الأمير عبد القادر حياته وفكره وما بدلوا تبديلا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الطبعة 02، الجزء 02، دار الوعي للنشر والاشهار والتوزيع، رويبة-الجزائر.

3- بديعة الحسني الجزائري، الامير عبد القادر الجزائري حياتة وفكره فكر الامير عبد القادر الجزائري، ترجمة ابو القاسم سعد الله، الجزء 03، دار الوعي للنشر والتوزيع، رويبة-الجزائر.

4- يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1980.

5- ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للابداع الشعري، الكويت، 2000.

6- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، الطبعة 01، الجزء 01، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان.

7- أبو القاسم سعد الله،أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، الجزء الرابع، الطبعة الاولى، دار الغرب الاسلامي، بيروت- لبنان، 1996

8- بديعة الحسني الجزائري، الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره فكر الأمير عبد القادر، الجزء الثالث، دار الوعي للنشر، رويبة الجزائر.

9- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، الطبعة03، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

10- زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية،الطبعة04، دار النهار للنشر، بيروت، 1986.

11- محمد كرد علي، خطط الشام، الطبعة 02، الجزء03، مكتبة النوري دمشق-سوريا، 1403هـ/1983م.

12- يحي بوعزيز وميكيل دو ايبالزا، الجديد في علاقات الامير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية، الطبعة الاولى، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة- الجزائر،1402هـ/1982م.

13- سهيل الخالدي، الاشعاع المغربي في المشرق دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام، دار الامة للطباعة و النشر و التوزيع، برج الكيفان-الجزائر، 2016.

14- أحمد درويش، في صحبة الأميرين ابي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري، الكويت، 2000.

15- علي الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر تاريخ الجزائر الى ما قبل الحرب العالمية الأولى، دار المعرفة، بيروت-لبنان

16- لورا لونج، ديليسبس وقناة السويس عبقرية الانسان والتاريخ، ترجمة محمد فريد حجاب، تقديم حسين عيد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.

17- بسام العسلي، الأمير عبد القادر الجزائري 1222-1300هـ/1807-1883م، الطبعة 03، دار النفائس، بيروت-لبنان، 1406هـ/1986م.

18- انجلو ساماركو، قناة السويس تاريخها ومشكلاتها وفقا للوثائق المصرية والأوروبيةغير المنشورة، ترجمة ولاء عفيفي عبد الصمد وآخرين، مراجعة حسين محمود، الطبعة 01، المركز القومي للترجمة، مصر، 2015.

19- عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر وادبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري، 2000.

20- أحمد درويش، في صحبة الأميرين ابي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري، الكويت، 2000.

21- نزار اباظة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان.

22- علي محمد محمد الصلابي، سيرة الامير عبد القادر قائد رباني ومجاهد اسلامي، دار المعرفة، بيروت-لبنان.

23- مصطفى الحفناوي، قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة، الجزء01،مطبعة مصر، القاهرة، 1952.

24- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصرمن 1830 الى 1989،الجزء 01، دار المعرفة، باب الواد-الجزائر.

25- بركات محمد مراد، الأمير عبد القادرالمجاهد الصوفي، دار النشر الالكترونية.

26- أحمد كمال الجزار، المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر و السادة الأولياء الأكابر، مراجعة و تقديم محمد زكي إبراهيم ،الطبعة الأولى، مطبعة العمرانية للاوفست، الجيزة- مصر،1417هـ/1997م.

27 -Clara Filleul Pétigny, L'Algérie. Clermont Thibaud-Ladroit freres; editeurs, 1851

28- عمر عبد العزيز عمر و محمد علي القوزي، دراسات في تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر 1875- 1950، الطبعة 01، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1999.

29- جرجي زيدان، تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها الى هذا اليوم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة- مصر، 2012.

آمال السبكي، أوروبا في القرن التاسع عشر فرنسا في مائة عام، الطبعة 01، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة- المملكة العربية السعودية،1405ه/1985م.

30- عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر اوروبا من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية، الطبعة جديدة، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، 1435ه/2014م

31- زينب عصمت راشد، تاريخ اوروبا الحديث في القرن التاسع عشر، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر.

32- جرجي زيدان، تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها الى هذا اليوم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة- مصر، 2012.

33- بسام العسلي، الاميرخالد الهاشمي الجزائري والدفاع عن الجزائر الاسلامية، الطبعة الثانية، دار النفائس، بيروت- لبنان، 1404ه/1984م.

الدوريات:

1- قوراري سليمان، شخصية الأمير عبد القادر وتجلياتها من خلال بعض مؤلفاته، الحقيقة، مجلة علمية دولية محكمة فصلية، جامعة أحمد دراية أدرار، العدد 31،ديسمبر 2014

2- بن يوسف تلمساني، سقوط الزمالة عاصمة المير المير عبد القادر المتنقلة وتراجع نفوذه في السهوب الوسطى 1843-1846، دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، مجلة علمية تساهم في تطوير المعرفة في مجال البحث الانساني والاجتماعي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر

3- خالدي بلعربي، الشيخ محي الدين بن مصطفى من مشيخة الطريقة القادرية الى زعامة المقاومة المسلحة 1776م-1833م، آفاق للعلوم، مجلة دولية محكمة، جامعة زيان بن عاشور الجلفة،عدد 06،

4- بلعربي نور الدين، معركة ايسلي وانعكاساتها على المغرب الأقصى ومقاومة الأمير عبد القادر، حوليات التاريخ والجغرافيا، مجلة تهتم بالدراسات والأبحاث التاريخية والجغرافية، مخبر التاريخ والجغرافيا التطبيقية، المدرسة العليا للأساتذة، العدد 08

5- محمد مرايمي، الاسلام كمرجعية لحماية حقوق أسرى الحرب، اسهام المير عبد القادرالجزائريفي تطويرالقانون الدولي الانساني، الانساني، مجلة تهتم بفتح نقاش حول القضايا السياسية و الاجتماعية من منظور حقوقي انساني سيما في المنطقة العربية و تقديم منبر لضحايا النزاعات المسلحة و الكوارث لعرض قضاياهم، مجلة فصلية، المركز الاقليمي للاعلام باللجنة الدولية للصليب الاحمر في القاهرة، العدد 66، خريف/شتاء 2019

6- يوسف ولد النبيه، أساليب الخطاب الاقناعي عند الامير عبد القادر الجزائري من خلال كتابه المقراض الحاد، جذور، مجلة فصلية علمية محكمة تعنى بالتراث وقضاياه، النادي الادبي الثقافي بجدة المملكة العربية السعودية، 46، رجب 1438هـ/2017.

7- عبد القادر شرشار، شخصية المير عبد القادر من منظور الاخر ترجمة كتاب عبد القادر لغوستاف دوقا انموذجا، انسانيات، مجلة دولية محكمة متخصصة في نشر البحوث الميدانية، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، عددان 19-20 جانفي-فيفري2003

8- عبد الوهاب بلغراس، الأمير عبد القادر محطات متميزة في رؤية الآخر، انسانيات، نفسها، العدد77-78، جويلية-ديسمبر.

9- نادية طرشون، سياسة نابليون الثالث العربية، دراسات و ابحاث، دورية جزائرية علمية دولية محكمة ربع سنوية، جامعة عاشور زيان الجلفة، العدد26، 31 مارس 2017.

10- زبيري بومدين،اقامة الامير عبد القادر في مدينة بورصة 1853-1856م بين الكتابات الغربية والوثائق العثمانية، المعيار، مجلة علمية محكمة تصدر كل ثلاثة اشهر، كلية أصول الدين، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الانسانية بقسنطينة، العدد51، ،شوال1441هـ/2020م.

11- طاعة سعد، دور الامير عبد القادر الانساني في ازمة الشام الطائفية سنة 1860م، قضايا تاريخية، مجلة تاريخية نصف سنوية اكاديمية محكمة، مخبر الدراسات التاريخية، المدرسة العليا للاساتذة، بوزريعة، العدد 05، 1438هـ/2017م.

12- كريمة حرشوش، الامير عبد القادر في ربوع الشام وموقفه من الفتنة الطائفية 1856-1860، عصور، مجلة علمية نصف سنوية محكمة، مخبر البحث التاريخي لكلية العلوم الانسانية و العلوم الاسلامية، جامعة وهران1، العدد 01.

13- بن الشيخ حكيم، التأطير الحركي للتيار الوطني في مسيرة الأمير خالد 1912م-1936م، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس بالتعاون مع مختبر البحث الجزائر تاريخ ومجتمع في الحديث و المعاصر، العدد الأول، جوان 2018.

14- الياس طلحة، تاريخ الصحافة المكتوب في بلدان شمال افريقيا ليبيا تونس الجزائر المغرب، المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية، مجلة دولية محمكمة، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الشهيد حمة لخضر الواد، العدد14.

15- محمد شاطو، التسامح الاسلامي المسيحي من خلال مسيرة المير عبد القادر الجزائري 1832-1883م، الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلية محكمة دوليا نصف سنوية، المجلد10. 01 جوان 2019

الجرائد والمواقع الكترونية:

1- معمر حبار، الامير عبد القادر استسلم ولم يكن خائنا حسب القس الفرنسي وظل عظيما [على الخط] الجزائرية للأخبار،صحيفة الكتروني اخباريةمستقلة مختصة في تقديم االخبر ةتحليله، متاح على الرابط https://dzayerinfo.com/ar/الأمير-عبد-القادر-استسلم-ولم-يكن-خائنا/، 30 ماي 2020.

2- طارق بن أنيس، ندوة الخبر [على الخط] أدار الندوة محمد علال، الخبر، يومية اخبارية، متاح على الرابط https://www.elkhabar.com/press/article/32463/، 24 مارس 2014.

3- معمر حبار،عظمة الامير عبد القادر من خلال القس الفرنسي[على الخط] الجزائرية للأخبار، صحيفة الكترونية مستقلة متخصصة في تقديم الخبر و تحليله، 2020/05/16، متاح على الرابط https://dzayerinfo.com/ar/عظمة-الأمير-عبد-القادر-من-خلال-القسّ-ال/ ،2021/03/06.

4- مكي الحسني الجزائري، جهود الأمير عبد القادر الجزائري في نشر علوم الحديث و بعثها مجددا[على الخط]، منديات الجلفة لكل الجزائريين والعرب، متاح على الرابط https://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=197917، 2009/10/09،

5- المتحف الوطني للمجاهد، الأمير خالد[على الخط] متوفر على الرابط http://www.museenat-moudjahid.dz/Pages/lire%20suit%20khaled.htm

6- خلدون الحسني الجزائري، الدكتور خلدون يتحدث عن مؤلفات جده الأمير عبد القادر[على الخط] قناة الجلفة انفو على اليوتيوب، متاح على الرابط

https://www.youtube.com/watch?v=fCscPt5k0bM، أفريل 2010.

7- سركيس أبو زيد،العثمانية والعروبة والمشرقية ولبنان الكبير[على الخط] الأخبار، موقع اخباري تابع لشركة أخبار بيروت وفق رخصة لجريدة الأخبار التي تاسست في 1953، متاح على الرابط https://al-akhbar.com/Opinion/279006، الخميس 07 تشرين الثاني 2019.

8- غسان كرياكي، مذبحة المسيحيين في دمشق [على الخط] مرصد الشام، موقع الكتروني تابع لمركز الدراسات المستقبلية وهي مؤسسة مستقلة متخصصة في اصدار المعلومات وعمل دراسات، وبحوث في كل المجالات بالشام، متاح على الرابط http://www.chamobserver.org/?p=2021، 15 أفريل 2015.

9- رسلان عمر، ما هي خفايا طوشة النصارى؟، [على الخط] موقع شبكة جيرون الاعلامية، مرتبطة بمركز حرمون للدراسات المعاصرة و احد مشروعاته تهدف التنمية الادراك السياسي والفكري، متاح على الرابط https://www.geiroon.net/archives/141144،21 نوفمبر 2018.

10- شعبان ياسين،الأمير عبد القادر أمير المقاومة ورئيس الدولة الحديثة وراعي القيم الانسانية [على الخط] رأي اليوم، صحيفة عربية مستقلة، متاح على الرابط https://www.raialyoum.com/index.php/شعبان-ياسين-الأميرعبد-القادر-الجزائر/، 30 نوفمبر 2020، 13:32.

11- الياس بولاد، ورقة بحث حول احداث 1860 في لبنان ودمشق [على الخط]، الحوار المتمدن، موقع الكتروني تابع لمؤسسة الحوار المتمدن تهدف الى تحقيق مجتمع مدني علماني ديمقراطي، متاح على الرابط https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=47213، 06 أكتوبر 2005، 11:41.

12- الجزيرة، 10 حقائق مثيرة عن قناة السويس[على الخط] الجزيرة نت، موقع اخباري تابع تابع لقناة الجزيرة الاخبارية، متاح على الرابط https://www.aljazeera.net/ebusiness/2018/11/26/10-حقائق-مثيرة-عن-قناة-السويس، 26 نوفمبر 2018، 25 مارس 2021، 02:03 بتاوقيت مكة المكرمة.

13- سيد نبيل، بالوثائق التاريخية النادرة الوطن تنشر القصة الكاملة لقناة السويس[على الخط] الوطن، بوابة الكترونية شاملة، شركة المستقبل للنشر والتوزيع والصحافة، متاح على الرابط https://www.elwatannews.com/news/details/780484، الثلاثاء 04 أغسطس 2019. 10:39.

14- الصالح بن قبي، محمد بوطالب يستغرب تأخر مشروع فيلم الأمير عبد القادر وابن قبي يكشف لولا المير عبد القادر لما شيدت قناة السويس و السوريون احتضنوه لما طرد من مصر[على الخط] حوار آسيا شلابي، الشروق أون لاين، النسخة الالكترونية لجريدة الشروق اليومي، مؤسسة الشروق، متاح على الرابط https://www.echoroukonline.com/لولا-الأمير-عبد-القادر-لما-شيدت-قناة-ال/، 01 فيفري 2010.

15- داليا شمس، الامير عبد القادر ابن سيدي محي الدينل[على الخط] موقع جريدة الشروق الالكتروني، دار الشروقن مصر، متاح على الرابط https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=29012017&id=b77a48b1-2ec4-4a24-a30e-c66ab5c805d8، أحد 29 يناير 2017، 12:45.

16- علي الصلابي، الأمير عبد القادر كيف شوهت الاستخبارات رموز النضال الجزائري[على الخط] الجزيرة نت، متاح على الرابط https://www.aljazeera.net/blogs/2018/2/4/عبد-القادر-الجزائري-كيف-شوهت، 04 فيفري 2018.

لقاءات وحوارات تلفزيونية وأشرطة وثائقية:

1- محمد الأمين بلغيث، تاريخ مباشر[على الخط] حصة تاريخية، تقديم عبد القادر جمعة، العدد 06، قناة البلاد، متاح على الرابط https://www.youtube.com/watch?v=fDt29QEh7uk ، 12 ماي 2019.

2- جعفر الحسني الجزائري، الأمير عبد القادر، [على الخط] ، وثائقي لأكرم عدواني، قناة الجزيرة الوثائقية، 2012، متاح على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=IK_wSPYUulY ، 21اكتوبر2016.

-3Eric Anceau, La relation spéciale entre Napoleon3 et l'Emir Abdlkader ,en ligne, Campus l'umières d'Islam, 20/11/2020, disponible sur le lien suivant https://www.youtube.com/watch?v=t7GsoqINSFA

4- بلال الداهية، حكاية سورية[على الخط]حصة من اعداد رامي زين الدين و تقديم ميرا القاس، قناة تلفزيون أورينت الفضائية، 2017، متاح على الرابط :

https://www.youtube.com/watch?v=ebjnl9b-XM8 ، 17 ماي 2018.

5- سعيد الجزائري،ذكريات[على الخط] تحقيق الحسن بن بلقاسم، قناة أرشيف جزائري على اليوتيوب، متاح على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=i1DMiZWVg3M

6- عبد الحق حميش، اسهامات الأمير عبد القادر الفكرية وأثرها الحضاري والانساني[على الخط] الخبر، يومية جزائرية مستقلة شعارها الصدق والمصداقية، متاح على الرابط

https://www.elkhabar.com/press/article/137009/إسهامات-الأمير-عبد-القادر-الفكرية-وأثرها-الحضاري-والإنساني/، 23 أفريل 2018.

7- نقل رفات الأمير عبد القادر، موسوعة سورية السياسية[على الخط] سلسلة وثائقية توثق تاريخ سوريا الحديث من اعداد محمد منصور، تلفزيون أورينت، متاح على الرابط

https://www.youtube.com/watch?v=Pu81nf-RxZg، 2 نوفمبر 2018.

8- واسيني الأعرج، المنعطف [على الخط]،حصة من تقديم يوسف رزق، تلفزيون سوريا، متاح على الرابط

https://www.youtube.com/watch?v=mPEEyT_f1s0، 21 أوت 2018.

9- زهور آسيا بوطالب، نقاش [على الخط]، حصة اخبارية اسبوعية من تقديم ياسر لعرابي، النهار تي في، متاح على الرابطhttps://www.youtube.com/watch?v=KcFjZp0y2dw ، 10 نوفمبر 2018.

10- سليمان سالم، حديث آخر[على الخط] ، حصة من تقديم فراس حامد، عدد خاص بالماسونية، أي24 نيوز، قناة تلفزيونية اسرائيلية، متاح على الرابط

https://www.youtube.com/watch?v=UW2G7E-iEZ0، 23 ديسمبر 2018.

الدراسات:

1- الأمير عبد القادر في الأسر، بقبق الزهرة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، الصم منور، معهد التاريخ، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران السانية.

موسوعات:

1- عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق محمد بهجت البيطار،الجزء02، مطبوعات الجامع العلمي العربي، دمشق، 1832، 1963.

2- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الطبعة 01،الجزء الخامس 1830-1854، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان،1998.

3- عادل نويهض، معجم اعلام الجزائرمن صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، الطبعة الثانية، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت-لبنان، 1400هـ/1980م.

4- WIKIPEDIA, en ligne, L'encyclopédie libre, Eugène Daumas, disponible sur le lien suivant:
https://fr.wikipedia.org/wiki/Eugène_Daumas.

الفهـــــارس

1– فهرس الأعلام والأسماء

العلم والإسم	الصفحة
	أ
أحمد باشا	76، 82، 83، 84.
أحمد باي	24، 25، 26.
أحمد بن سالم	29، 31.
أحمد الصلح	77، 78.
أمين أرسلان	65.
أنور باشا	66.
أوليفيي	43.
إسماعيل باشا الأطرش	81.
إسماعيل (الخديوي)	91، 92، 93، 94.
	ب
بروسار	24.
بن عراش	27.
بن عودة المختاري	24.
بواسونيه	46، 55، 56، 97.
البوحميد	30.
بولاد	59، 60.
بيجو	22، 24، 25، 26، 28، 29، 53، 54.
	ت
تريزيل	21، 32، 36.
التيجيني	24.
	ج
جاك لوروا	55.
جعفر بن طاهر	69.
	ح

الحمزاوي	61.
الحداد	67.
	خ
خالد بن الهاشمي	67، 68..
خليل باشا	57.
خورشد بك	80.
	د
دمريمون	24.
دوبوش	31، 47، 51، 56.
دولورانج	22.
دوماس	37، 40، 41، 43، 54.
دومال	27، 29، 30، 31، 38، 39، 40، 44، 47، 48، 51.
ديميشال	21، 36.
ديليسبس	90، 91، 92، 93، 94.
	ر
روتشيلد	56.
	س
سعيد باشا	90، 91.
سعيد بن علي	66، 68، 69، 74، 86.
	ش
شارل العاشر	41.
شامل الدغستاني	51، 63، 88.
شكيب أرسلان	66.
	ع
عبد الحميد الثاني	65، 77.
عبد الرزاق البيطار	71، 73.

عبد الرزاق (إبن الأمير عبد القادر)	65.
عبد المجيد (السلطان)	54، 57، 62، 79.
عز الدين (بن محي الدين)	69.
علي (إبن الأمير عبد القادر)	65.
عمر العيادي	26، 27.
عمر (إبن الأمير عبد القادر)	65، 67، 95.
غ	
غابو	48.
غوستاف دوقا	51.
ف	
فالا	26.
فرانسوا جيزو	42.
ق	
قدور بن علال	31.
ك	
كافينياك	30، 48.
كلوزيل	22، 24.
ل	
لامارتين	38، 41.
لامورسيير	22، 26، 30، 32، 40، 42، 47، 48، 51.
لويس فيليب	25، 38، 40، 41، 43.

لويس نابليون (نابليون الثالث)	53.
م	
ماري دبير	97.
محمد البغدادي	24.
محمد بن علال	27.
محمد الخاني	71.
محمد الشاذلي	52.
محمد الطنطاوي	71، 73.
محمد الطيب	79.
محمد علي	16، 38، 54، 59، 80، 90، 91.
محمد المزاري	23.
محمود نديم	61.
محي الدين بن عربي	61، 65، 73، 74.
محي الدين (إبن الأمير عبد القادر)	65، 67، 95.
مصطفى بن اسماعيل	16، 23.
مصطفى بن تهامي	31، 52.
ن	
نابليون بونابرت	90.
نابليون الثالث	53، 54، 55، 56، 58، 60، 63، 79، 93، 94.
نامق باشا	61.
هـ	
هولو العابد	66.
ي	
يوسف بدر الدين	71، 72.

يوسف بن بطرس	78.

2– فهرس القبائل والشعوب:

القبيلة والشعب	الصفحة
	أ
الأحلاف	30.
الأكراد	75، 82.
أولاد موسى	24.
أولاد نايل	24، 29.
آل أرسلان	61.
آل هاشم	11.
	ب
بني عامر	23، 30.
	د
الدروز	61، 66، 75، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 88.
الدوائر	21، 23.
	ز
الزمالة	21، 23.
	م
الموارنة	75، 80، 88.
	و
وادي الزيتون	23، 24.

3– فهرس الأماكن والبلدان:

المكان والبلد	الصفحة
	أ
الأغواط	24.
أمريكا	88.

أمبواز	44، 45، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 54، 55، 56، 63، 97.
أورليان	45، 56.
إسطنبول	55، 56، 57، 59، 60، 66، 69، 73.
الإسكندرية	15، 16، 30، 35، 36، 37، 90، 93، 95.
الإسماعيلية	91.
إنجلترا	28، 76، 79، 88، 90.
الآستانة	56، 71.
	ب
باريس	55، 56، 60، 92.
بردى	62.
بغداد	16.
بنغازي	66.
بو (قلعة)	43، 44.
بوبلح	91.
بوردو	45.
بورصة	53، 56، 57، 58، 59، 60، 62، 72، 97.
بيروت	61، 64، 69، 75، 77، 88، 93،.
	ت
تازة	26.
التافنة	24، 25، 26، 36.
تاكدمت	26.
تلمسان	22، 24، 25، 26، 57،.
تور	45، 54، 55.
تونس	15، 66.
التيطري	24.
	ج
جلتك	58.

ح	
الحجاز	15، 91، 93.
حوران	66، 81.
د	
دمشق	53، 60، 61، 62، 63، 64، 67، 68، 69، 71، 72، 74، 75، 76، 77، 79، 82، 83، 84، 86، 87، 88، 92، 93، 95، 96.
دمر	61.
ديار بكر	60.
ر	
روسيا	63، 77، 79، 80، 87، 93.
ز	
الزحلة	81.
س	
سانت مارغريت	43.
سرت	66.
سرسو	26.
سعيدة	26.
السكاك	22.
سور الغزلان	29.
السويس	89، 90، 91، 92، 93.
ش	
الشام	16، 35، 61، 62، 63، 64، 65، 67، 68، 71، 72، 73، 75، 76، 77، 78، 79، 82، 83، 86، 87، 88، 95.
ص	
الصالحية	65.
صقلية	56، 57.
الصويرة	29.

الصين	87.
ط	
طاقين	27.
طرابلس	16، 66.
طنجة	29.
طولون	35، 39، 42، 43.
ع	
عكا	30، 36، 38.
عنابة	54.
عين ماضي	24.
غ	
الغزوات	32.
ف	
فرساي	68.
فلسطين	73، 79.
ق	
قسنطينة	24.
ك	
كوجيلة	26.
ل	
لامالق	35، 36، 39، 42.
لبنان	61، 75، 76، 77، 79، 80، 81، 82، 85، 86، 87، 88، 94.
ليون	56.
م	
مرسيليا	56.
المرسى	30.

معسكر	13، 16، 19، 25، 26.
المغرب	28، 29، 44.
مغنية	29.
الميلية	44.
	ن
نابلس	64.
نانت	44، 45.
	و
وجدة	28، 29.
وهران	13، 14، 15، 17، 21، 22، 24.

فهرس المحتويات

إهداء

شكر وعرفان

قائمة المختصرات

مقدمة.....01

الفصل الأول: مولد ونشأة الأمير عبد القادر الجزائري ومقاومته للإحتلال الفرنسي

المبحث الأول: المولد والنشأة.....11

المطلب الأول: مولده ونسبه.....11
المطلب الثاني: نشأته ورحلته إلى الحج.....12
المبحث الثاني: مبايعة الأمير عبد القادر ومقاومته للإحتلال الفرنسي.....17
المطلب الأول: مبايعة الأمير.....17
المطلب الثاني: مقاومة الأمير عبد القادر.....20
المبحث الثالث: نهاية المقاومة وتسليم الأمير.....23
المطلب الأول: نهاية المقاومة.....23
المطلب الثاني: المقاومة تلفظ آخر الأنفاس والأمير يسلم سلاحه لفرنسا.....28
الفصل الثاني : تحويله إلى فرنسا واستقراره بالشام بعد إطلاق سراحه
المبحث الأول : نقله إلى فرنسا ومعاناته في السجون الفرنسية.....35
المطلب الأول : فرنسا تنكث العهد وتخطف الأمير.....35
المطلب الثاني: معاناة الأمير في السجون الفرنسية.....39
المبحث الثاني: أمبواز المحطة الأخيرة في أسر الأمير.....47
المطلب الأول: فرنسا تعطي هامشا من الحرية للأمير.....47
المطلب الثاني: نشاطات وإنجازات الأمير الفكرية في الأسر.....49
المبحث الثالث: فك أسر الأمير وسفره ألى بورصة ثم استقراره بدمشق.....53
المطلب الاول: نابليون الثالث يطلق سراح الأمير وإقامة الأخير بمدينة بورصة: 53
المطلب الثاني: توجهه إلى بلاد الشام واستقراره بدمشق إلى غاية وفاته.....61
الفصل الثالث: إسهامات الأمير عبد القادر في المشرق العربي
المبحث الأول: إسهاماته الفكرية والإجتماعية والسياسية.....71
المطلب الأول: إسهاماته الفكرية والإجتماعية.....71
المطلب الثاني: إسهاماته السياسية واقتراح تعيينه ملكا على الشام.....75
المبحث الثاني: فتنة دمشق1860 ودور الأمير في إخمادها.....79
المطلب الأول: فتنة دمشق1860.....79
المطلب الثاني: مجهودات الأمير عبد القادر في إخماد الفتنة.....83

المبحث الثالث: دور الأمير في إتمام مشروع إنجاز قناة السويس وعلاقته بالماسونية:.....89
المطلب الأول: دور الأمير في إتمام إنشاء القناة.....89
المطلب الثاني: علاقة الأمير عبد القادر بالماسونية.....94
الخاتمة.....102
الملاحق.....107
البيبليوغرافيا.....114
الفهارس 125
الملخص

الأمير عبد القادر الجزائري وإسهاماته في بلاد الشام 1856– 1883.

الملخص

لم يكن الأمير عبد القادر بالشخص العادي، بل كان أنسانا اجتمعت فيه العديد من الخصال والصفات التي قلما تجتمع كلها في شخص واحد، فكان صاحب النسل الشريف والعالم االمتصوف الفقيه والفيلسوف والمهتم بالتاريخ وحتى بعلوم الطب، كما كان سياسيا ودبلوماسيا وشاعرا أيضا، كما عُرف أيضا بقوته البدنية التي جعلت منه الفارس المحارب الذي أرهب الفرنسيين، وقد مكنته تلك الخصال ومامتع به من علم من تولي أمور الناس والاهتمام بشؤون البلاد التي كانت ترزح تحت نير مستعمر غاشم قتل الجزائريين بلا رحمة واهلك حرثهم وزرعهم، مستعمر أدرك الأمير انه لن يخرج من الجزائر الا بالسلاح، فعاش الأمير حياته في الجزائر منذ بداية الاحتلال حاملا سلاحه في وجه الجيش الفرنسي، سيما بعد ان تمت له البيعة مرتين، ولم يترك العمل المسلح الا بعد ان فشلت مقاومته اثر الخيانات التي تعرض لها، لتخطفه بعدها فرنسا وتزج به في سجونها ما يقارب الخمس سنوات. ليتحول بعدها الى بورصة التركية بعد إطلاق سراحه، ثم إلى دمشق التي اختارها للاستقرار بها، بحيث ترك بها عدة بصمات خالدة خاصة فيما عرف بفتنة دمشق1860، مما جعله محط أنظار ملوك واباطرة العالم حينها ولا تزال شخصيته محترمة لحد الساعة في جميع اقطار العالم عند الشعوب والحكام أيضا.

الكلمات المفتاحية: التافنة، الزمالة، فتنة دمشق، طوشة النصارى، سجن امبواز، قيطنة، معركة السكاك، معاهدة دي ميشيل.

El Emir Abdekader Al-Jazaery and his cotributions in Sham1856-1883.

Summary:

El Emir Abdelkader was not an ordinary person, rather he was multifunctional character.He came from a Nobel family as well as he wasa scholar, a mystic, a jurist, a philosopher and an interested man in history and the medical sciences. Furthermore,he was a politician, a diplomat and a poet. Besides all these features;He was strong warrior and humble knight who frightened the French. The latter characteristics enabled him to take care of Algerians and their businesses. With such power, the French colonizer ensured that the Prince will not surrender without a fight especially afterthe pledge of allegiance which had been made to him twice. Afterword, he was exposed to several betrayals which helped the colonizer to kidnap him and placed him into prison for nearly five years. Then, he was forced to exile in Turkey, then Damascus. The latter was the last step in his journey in which he made a great legacy for solving what was known as the sedition of Damascus in 1860. These immortal actions got the attention of kings and emperors of the world at that time.Prince Abdelkader had a unique personality which is still respected until now in all countries of the world by peoples as well as rulers.

Key words:

Tafna, the smala, Damascus sedation, Massacre of Christians in Damascus, Amboise prison of El Emir Abdekaderm, El Guettana, the Battle of Sikak, Desmichels Treaty.